



# طَلَقَةٌ تَنْوِيرٌ

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي



العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

طلقة تنوير 67: ما بين سطور المشهد الراهن وفكره

أحمد قايد صالح.. مُجاهد برتبة فريق  
البطل الذي انحاز لصف الشعب العربي الجزائري

صالح بدروشي

قيل إن العبرة بالخواتيم وأعمار الرجال لا تقاس بالسنوات بل بالأفعال، والمجاهد الشهيد أحمد قايد صالح حاز الشرف كله، إذ جمع بين شرف البدايات وحسن الخاتمة.

رغم أنه حاز وسام الاستحقاق في الدولة برتبة صدر من قبل الرئيس عبد المجيد تبون نظيراً لمجهوداته الجبارة في مرافقة الحراك الشعبي في الجزائر وتحقيق تطلعات الشعب بدون إراقة الدماء والمحافظة على سلمية الحراك، إلا أن الوسام الحقيقي الذي حظي به الشهيد هو حب الناس والجنابة المهيبة التي رافقته إلى مثواه الأخير.

إن مشهد الحشود العارمة التي شيعت جنازة المجاهد تذكرنا بجنازة الهرم جمال عبد الناصر كما أن لها دلالة عميقة من حيث إبراز الوزن الحقيقي للمسار الذي كان يقوده القايد صالح وأنه يحظى بتأييد الملايين وقد وصلت الجزائر بفضلها إلى انتخاب رئيس جديد وتم قطع أيدي الفاسدين والمتنفذين من رجال الدولة العميقة وأحزابها المتعفنة التي شوّهت وجه الجزائر ونشرت التشكيك في عروبة الجزائر وطعنتها في هويتها عبر دسترة لغة هجينة صنعت في مخابر فرنسا.

سوف يذكر التاريخ كيف كابر القايد صالح وتحامل على مرضه ولم يستمع لنصائح الأطباء ورفض إجراء عملية جراحية على مستوى القلب على الرغم من خطورة وضعه وقرر بأن لا يدخل إلى غرفة العمليات حتى تصل الجزائر إلى بر الأمان، وأثر أن يدفن هو على أن يقبر حلم الشباب العربي الجزائري الحالم بالتغيير والحالم بغد أفضل وبدولة سيده مستقلة عن فرنسا ومتجدرة في هويتها العربية الإسلامية، وسوف يذكر التاريخ كيف قاد أسد الجزائر فريقاً من الضباط الأحرار واقتلعوا جذور فرنسا الاستعمارية الذين تمكنوا من اختراق النظام عقب الإعلان عن الاستقلال والذين تكاثروا في عهد نظام بوتفليقة الذي تحالف مع الإخونجة وجرنالات فرنسا.

طلقة تنوير 67: ما بين سطور المشهد الراهن وفكره

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي... عدد 1  
كانون الثاني 2020

- أحمد قايد صالح.. مُجاهد برتبة فريق/ صالح بدروشي

- عن خيار التنمية النيو- ليبرالية وغياب طرح التنمية المستقلة: المغرب نموذجاً/ إبراهيم حرشاوي  
- النظرية القومية والأمة من وجهة نظر الغربيين: التخيل والمصلحة السياسية كأساس نظري/ فارس سعادة

- قرنان من الصراع: الحركات الشعبية في سياق السؤال النهضوي العربي/ بشار شخاترة  
- وجه مصر المقاوم.. من المسؤول عن تغييره؟!/ كريمة الروبي

- بين الأبيض والأسود: النظام المصري في الميزان/ عبدالناصر بدروشي

- أكبر احتكارات الإعلام في العالم حتى عام 2019 ما تزال أمريكية/ إبراهيم علوش

- الصفحة الثقافية: المخرج (العاشق)/ طالب جميل  
- قصيدة العدد: رَبَّانُ جَيْشِ الْبَطُولَةِ دَابُّهُ/ الحضري المحمودي في رثاء القائد أحمد قايد صالح رحمه الله

لمتابعنا انظر:

لمتابعنا على فيسبوك، ابحث عن:  
لائحة القومي العربي/ الصفحة الرسمية

روابط صديقة:

موقع الصوت العربي الحر  
[www.freearabvoice.org](http://www.freearabvoice.org)

راسلنا على:

[arab.nationalist.moderator@gmail.com](mailto:arab.nationalist.moderator@gmail.com)



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد



على الرغم من جمعه لكل السلطات التي لم يجمعها رئيس من قبله منذ فترة بومدين لم يسخر القائد صالح سلطته لخدمة مصالح ذاتية أو سلطوية، بل وظف كل ما يملك من سلطة في استكمال عملية تطهير جهاز دي آر إس (الاستخبارات)، التي أطلقها في 2015، وقام بالحق صلاحيات هذا الجهاز بالمؤسسة العسكرية وقيادة الأركان. لم يكن القائد يسعى إذاً للاستيلاء على السلطة السياسية، وأثر أن يفدي الوطن بروحه من أجل استعادة السيادة الوطنية وإزاحة الفاسدين ومصاصي الدماء.

البنية التحتية التي أسسها القائد صالح ورفاقه مكنت المؤسسة العسكرية بقيادته من مرافقة "الحراك الشعبي" ولم يترك الشعب فريسة يتلاعب به صنّاع مؤامرات "الربيع العربي"، المشؤوم وعمل القائد على تصويب بوصلة "الحراك" تدريجياً وبكل اقتدار وحنكة وروح وطنية نحو خلاص الجزائر من يرثان بارونات الفساد وأذيال فرنسا. وبذلك قطع الطريق أمام مؤامرة كبرى كانت فرنسا تعدّها للجزائر لإغراقها في فوضى دموية تمهيداً لإخضاعها وإحكام السيطرة عليها.

أما عن سيرة المجاهد المشرفة فقد كتبها بعرق جبينه وبتضحياته التي بدأت منذ طفولته:

وُلد أحمد فايد صالح في 13 يناير/كانون الثاني سنة 1940 بمنطقة عين ياقوت في ولاية باتنة (شرق البلاد) والتحق بالحركة الوطنية مناضلاً وعمره لا يتجاوز 17 عاماً ثم جندياً مقاتلاً في صفوف جيش التحرير الوطني انطلاقاً من الولاية الثانية للثورة بمنطقة المليبية، ولاية جيجل، وتدرج في المناصب القيادية بعد أن أثبت رباطة جأشه ومهاراته القيادية ميدانياً، وبعد أن حظي بتكوين عسكري مرموق في الجزائر وفي أكاديمية فيستريل بموسكو.

تدرج المجاهد في المسؤوليات العسكرية، بعد الاستقلال، حيث شغل منصب قائد لواء ثم أصبح قائداً للقطاع العملياتي الأول، فقائداً لمدرسة تكوين ضباط الاحتياط ليُعيّن بعدها قائداً للقطاع العملياتي الجنوبي لتندوف ثم نائباً لقائد الناحية العسكرية الخامسة، ثم تولى قيادة الناحية العسكرية الثالثة ومقرها ولاية بشار الجزائرية في الجنوب الغربي للبلاد، ثم قائداً للناحية العسكرية الثانية ومقرها ولاية وهران، وتمت ترقبته إلى رتبة لواء في الخامس يوليو/تموز 1993، ثم أصبح قائداً عاماً للقوات البرية سنة 1994، وبعد 12 سنة في المنصب عُيّن قائداً لأركان الجيش الوطني الشعبي خلفاً للفريق محمد العماري، سنة 2004، ثم نال رتبة فريق سنة 2006.

تؤكد شهادات الجنود والضباط الذي نالوا شرف العمل تحت إمرته أن القائد صالح يمتاز بشدة الانضباط والصرامة، وهو لا يعترف إلا بـ "إنجاح وتنفيذ الأوامر"، وبالإضافة إلى الصرامة كان يحظى بحب الجنود الذين يعتبرونه والدهم وليس قائدهم فحسب، فالرجل يقيم في كتنة عسكرية بين جنوده وليس في شقق فخمة ولا في قصور معزولة.

قوة شخصية القائد صالح، جعلته يصمد ويحافظ على منصبه كقائد للقوات البرية التي تشكل النسبة الأكبر من عدة وعتاد الجيش الجزائري، في غمرة سطوة من يطلق عليهم «ضباط فرنسا»، وهم مجموعة ضيقة من الجنرالات الذين تدرّبوا وخدموا في صفوف الجيش الفرنسي، قبل أن يلتحقوا بصفوف الثورة أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات.

عانى القائد صالح بعض التهميش زمن سيطرة ضباط فرنسا على مؤسسة الجيش ومفاصل البلاد بصفة عامة، لكن كانت لديه القوة اللازمة للصمود وإثبات قوة شخصيته، الأمر الذي أهله لشغل منصب قائد أركان الجيش خلفاً للفريق محمد العماري.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

ومنذ توليه منصبه قائداً لأركان الجيش الجزائري، تبنى القائد صالح مقاربة عسكرية وأمنية تهدف، بحسب ما ذكرته وزارة الدفاع الجزائري، في أكثر من مناسبة لاقتلاع جذور الإرهاب والجماعات الإرهابية.

كما خاض حرباً ضروساً ضد معانل التنظيمات الإرهابية، ألحق فيها الجيش الجزائري هزائم كبرى بتنظيم "القاعدة" الإرهابي، وشكلت الوحدات العسكرية المنتشرة على طول الحدود الجزائرية سداً منيعاً ضد محاولات تنظيم "داعش" الإرهابي اختراق الحدود الجزائرية.

ومكنت مقاربة الرجل العسكري المعروف بأنه "شخصية عسكرية ميدانية" من دحر فلول الجماعات الإرهابية وأمراء "القاعدة" في الجزائر، ولم تسجل الجزائر في الأعوام الأخيرة أي عملية إرهابية.

لم تتوقف استراتيجية وزارة الدفاع الجزائرية في عهد القائد صالح على محاربة الإرهاب، بل سعت لتحديث قدرات الجيش الجزائري، باقتناء أحدث الأسلحة العسكرية والحربية، خاصة من روسيا، لقواتها البرية والجوية والبحرية.

وشهدت الأشهر الماضية بزوغ نجم الفريق قائد صالح، بقراره دعم الشعب والحراك الشعبي الذي بدأ في 22 فبراير/ شباط الماضي، حيث كان أول من طالب بتطبيق المادة 102 من الدستور الخاصة بالعجز الصحي للرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة، قبل أن يستقيل بوتفليقة في 2 أبريل الماضي.

وعقب استقالة بوتفليقة، ووسط مطالب البعض بالدخول في مرحلة انتقالية يديرها مجلس توافقي، رفض الفريق قائد صالح ذلك الطرح، وأصر على أن الحل في المخرج الدستوري المتمثل في الانتخابات الرئاسية التي تأتي برئيس منتخب له كافة الصلاحيات.

وطوال 10 أشهر من الحراك حرص الفريق قائد صالح على التأكيد على أنه لا طموحات سياسية لمؤسسة الجيش الجزائري، وأن الجيش ملتزم بأداء مهامه الدستورية، وسيعمل على دعم الانتقال الديمقراطي للسلطة عبر الانتخابات.

وأكد قائد صالح أكثر من مرة على أن الجيش ملتزم بتأمين الحراك من أي مؤامرات تحاك ضده، كما أنه كان أول من أطلق مصطلح "العصابة" على الدائرة المقربة من الرئيس السابق بوتفليقة، وأكد على أنه ستتم محاسبة كافة المسؤولين الفاسدين من النظام السابق، متعهداً بتخليص قطاع العدالة (القضاء) من كل الضغوط التي كانت عليه وهو ما تم بالفعل.

وكان آخر ظهور علني لرئيس الأركان الجزائري الراحل يوم الخميس الماضي، في جلسة تنصيب الرئيس الجزائري الجديد عبد المجيد تبون، حيث تم تقليده وسام الاستحقاق الوطني من درجة "صدر"، وقوبل الفريق قائد صالح يومها بتصفيق حاد وترحاب شديد من الحضور تقديراً لدوره في الأشهر الماضية.

**\* صفحات مضيئة في تاريخ المجاهد أحمد قائد صالح قاهر الزواف وهادم المعبد على كهنته ومقتلع جذور فرنسا من الجزائر.**

الفريق أحمد قائد صالح :

- شارك في حرب التحرير والتحق بجيش التحرير الوطني في 1955 وعمره 16 سنة و 4 أشهر .
- شارك في معركة باتنة ضد قوات ديفال التي انتصر فيها جيش التحرير وغيرها من العمليات في منطقة الأوراس الأولى .
- وضع فيه مصطفى بن بوععيد ثقته وجعله قائد كتيبة وعمره لا يتعدى 18 سنة.
- شارك في حرب أكتوبر 1973 وكان قائد كتيبة مشاة في معركة خط بارليف الشهيرة في 73.
- متحصل على وسام الشجاعة من القيادة المصرية والجزائرية سلمه له هواري بومدين شخصياً .
- تولى قيادة الأركان 2004.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

كذلك أشرف القايد صالح على:

- عودة مدرسة أشبال الأمة لتخريج الدفعات من مختلف الأعمار لتواصل روح الثورة الوطنية بين الأجيال
- تطهير الجيش الجزائري من ضباط فرنسا أو ما يعرف بدفعة روبيير لاكوست.
- ارتقي الجيش الجزائري في 15 سنة الاخيرة - عشرة مراتب (10) - في التصنيف العالمي ليكون بذلك الجيش الاكثر تطوّراً في العشرين سنة الاخيرة رفقة الجيش الياباني والألماني والتركي .
- الجيش الجزائري مصنف في المركز 14 عالمياً في موقع أمريكي للجيش "أميريكان سويتش" ومصنف في المركز 22 عالمياً حسب تصنيف "رانكينغ ميليتاري" وهو مرشح لدخول "التوب10" (قمة العشرة) بحلول عام 2020 .

نضيف: على مدار 25 سنة ومخابرات الجنرال توفيق تحمي أفراد العصابة وتُأكل الأخضر واليابس في البلاد حتى بدأ القايد صالح يحاسب العصابة والمسؤولين الكبار الفاسدين الذين باعوا الجزائر إلى الزواف كلاب فرنسا.

رحم الله المجاهد أحمد قايد صالح.. وقد وحد الشعب الجزائري ميتاً كما وحده وهو على قيد الحياة، وعاش وفيماً للجماهير ولم يبخل عليهم بحياته فخرجت الملايين لتشييعه في مشهد مهيب لا يُستترى بالمال فقوبل إحسان القائد بإحسانٍ وعرفانٍ من الشعب.

وصدق الشاعر حين قال فيه رحمه الله:

”لَا غَرْوَ أَنْ بَكَتِ الْجَزَائِرُ فَارِساً  
فِيهَا الرَّجَالُ بِطَبْعِهِمْ فُرْسَانٌ“

(وتجدون تلك القسيده كاملة في نهاية هذا العدد من طلفة تنوير.)

## عن خيار التنمية النيو- ليبرالية وغياب طرح التنمية المستقلة: المغرب نموذجاً

إبراهيم حرشايوي

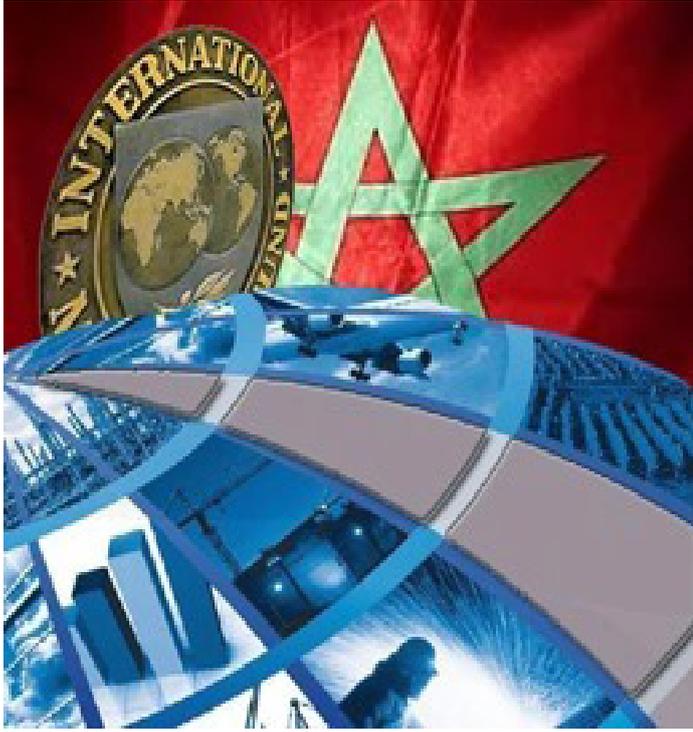
تبنّت عدّة دول عربية أواخر الحرب الباردة النموذج الاقتصادي النيو- ليبرالي نتيجة أفول الدور السوفيتي وارتفاع الضغوطات عليها من طرف الدول التابعة للخندق الرأسمالي. وفرضت على هذه الدول ' برامج التقويم الهيكلي structural adjustment programs التي عُرضت كعصي سحرية لمعالجة التدهور الاقتصادي من طرف المؤسسات المالية الدولية ( البنك الدولي وصندوق النقد الدولي) الخاضعة للقرارات الاقتصادية للدول الغربية. وقد قُدمت هذه البرامج كزرمة من التدابير الاقتصادية أساسها الخصخصة وسياسة رفع القيود. ومن اللافت أنّ هذه التدابير الاقتصادية المفروضة خارجياً لم تصاحبها في البداية وصفة إصلاحية سياسية لغاية أحداث 11 أيلول سنة 2001م، حيث ازدادت منذ ذلك الحين الضغوطات الغربية لأخذ خطوات نحو الديمقراطية الليبرالية. فقد تجسد هذا الجانب السياسي أوروبياً عبر إعادة تفعيل الشراكة الأورومتوسطية أو "عملية برشلونة"، أما أمريكياً فتم تسويق الديمقراطية الليبرالية عبر مبادرات عُرفت بعناوين مثل ' Middle East partnership Initiative ' و' Broader Middle East and North Africa Initiative '، وتشارك كل هذه المبادرات في إضعاف وإعادة هيكلة الدولة المركزية على أسس عرقية- طائفية من خلال برامج وأجندات سياسية تمررها المنظمات غير الحكومية تحت عناوين كالجبهوية وحقوق الأقليات وحقوق تقرير المصير.

نظرياً، لا تمثل النيو- ليبرالية نمودجا اقتصادياً يدلل فقط على الدور المسيطر للسوق الحرة كآلية لتنظيم المجال الاقتصادي، بل يشمل كذلك في دلالته تدبير الحياة السياسية والاجتماعية بشكلٍ مطلق، أي سلعتها وجعلها بالتالي تباع وتشتري.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد



وبرغم وجود موقف على المستوى النظري يربط النيو-ليبرالية تلقائياً بمعاداة الدولة، إلا أن إعادة هيكلة المنظومة الاقتصادية حسب الوصفة النيو-ليبرالية لا يلغي الدولة بقدر إخضاع كيانها هو الآخر للتغيير الهيكلي خدمة للطرح النيو-ليبرالي. يُطلق على هذا الجانب من المشروع النيو-ليبرالي من قبل بعض الكتاب مصطلح roll-out neoliberalism أو النيو-ليبرالية المعممة، حيث يشير إلى المرحلة التي ترتدي فيها الدولة عباءة النيو-ليبرالية الجديدة. ويتجلى ذلك في القيام بتهيئة الأجواء اللائقة من طرف الدولة لجذب الاستثمارات الأجنبية ورأس المال الخارجي. وقد تمت تسمية هذه الوظيفة الجديدة للدولة بـ "good governance" أو "الحكم الرشيد"، وهو مفهوم مستعار من مجال "إدارة الشركات" (corporate governance) في بداية تسعينيات القرن الماضي من طرف البنك الدولي والمؤسسات المانحة لترويج سياسة جديدة لإدارة الدول بالعالم الثالث بحيث تكون "الفعالية" و"الاستقرار المالي" و"الحكم التكنوقراطي" أحد مبادئها لجعل "سوق رأس المال الدولي" أهم مجال سياسي داخل دول العالم الثالث، مما يعني ترك المبادرة السياسية والاقتصادية لطبقة الكومبرادور (شريحة الوسطاء الاقتصاديين بين الدول الغربية والدول التابعة).

وتسبق هذه المرحلة مرحلة roll-back neoliberalism أو النيو-ليبرالية المتقهقرة حيث يكون دور الدولة هنا العزوف عن السياسات التي تمثل 'دولة الرفاهية'، وقد شهدت أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية إجراءات قوية في هذا الاتجاه خلال فترة حكم رونالد ريغن ومارغريت تاتشر. وفي السياق ذاته، عُرفت هذه المرحلة في دول العالم الثالث بالقضاء على المشاريع التحريرية في دول كنشيلي تحت حكم بينوشيه ومصر خلال الفترة الساداتية.

تاريخياً، يُلاحظ في دولة عربية كالمغرب أن النموذج التنموي لم يكن منفتحاً على الرساميل الدولية عقب فترة الاستقلال. لقد اتخذت الدولة في تلك المرحلة تدابير تضع حداً لسياسة الباب المفتوح التي فرضتها الحماية الفرنسية بموجب اتفاقية الجزيرة الخضراء، كالخروج من منطقة الفرنك الفرنسي وإنشاء مؤسسة وطنية للإصدار (بنك المغرب). وتندرج هذه السياسة الاقتصادية ضمن برنامج المخطط الخماسي المتبنى آنذاك من قبل الحكومة المغربية. وكانت إحدى ركائز هذه الخطة إحداث قطيعة مع المرحلة الاستعمارية وتمهيد الطريق لمرحلة جديدة تقوم فيها الدولة بدور المحرك للتنمية الاقتصادية ويلعب فيها رأس المال الأجنبي دوراً هامشياً. لكن سرعان ما عادت الأمور إلى خيار الانفتاح الاقتصادي بعد إعفاء حكومة عبد الله إبراهيم، الأمر الذي عكس التصادم الحاد بين توجه الدولة التقليدية ومشروع أحزاب الحركة الوطنية. وبرغم التحول الذي شهدته السياسة الاقتصادية المغربية نحو التخلي عن السياسة التوجيهية والتدخلية، احتفظت الدولة نسبياً بسياسة المغربية (La Marocanisation) في القطاع الفلاحي والصناعي والتجاري. أما مع حلول بداية الثمانينيات، فقد انخرط المغرب في برنامج التقويم الهيكلي مما جعل جلب الاستثمارات الأجنبية من محددات السياسة الاقتصادية. ومنذ تلك الحقبة أصبح المغرب على سكة جديدة للتنمية يركز فيها على مقومات تبنى على الحد من التعريفات الجمركية وإلغاء دعم المستهلك وتشجيع تدفق الرساميل الأجنبية.

يقتضي الفهم الأشمل والأعمق للسياسات التنموية النيو-ليبرالية التي لطالما تمحورت حول المشاريع الحضرية الضخمة (urban centric development) بأنها تُدشن في الدول العربية تحت عناوين تنموية كبيرة يكون المنطق المؤسس لها هو جلب رأس مال المستثمرين المحليين والأجانب وبخطاب تنموي تسوده الاستعراضية التسويقية، أي بما بات يعرف بمفهوم 'اقتصاد التظاهر' (economics of appearances).



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

وتجدر الإشارة في هذا المضمرة إلى مشاريع «كمشروع العبدلي» لمؤسسة استثمار الموارد الوطنية وتنميتها (موارد) في الأردن أو «مشروع إعادة إعمار وتطوير وسط بيروت التجاري» لشركة «سوليدير» في لبنان، كحالات ونماذج ينبغي تحليل تركيبها ومخلفاتها الاجتماعية والسياسية لفهم التنمية ذات الطابع النيو- ليبرالي من واقعها الملموس.

وفي المغرب يمكن تسليط الأضواء على «مشروع» تهيئة ضفتي أبي رقرق، بصفته نموذجاً آخر لهذه المشاريع النيو- ليبرالية في الوطن العربي والعالم الثالث. ويهدف هذا المشروع الذي تشمل مساحته الجغرافية حوالي 6000 هكتار، إلى إنعاش القطاع السياحي عبر تجهيز الفنادق الفاخرة ومركز تجاري ورصيف لليخوت والقوارب السياحية، بالإضافة إلى إنشاء تجمعات سياحية وسكنية تحت اسم «مشروع أمواج». أما على مستوى البنية التحتية فتم تدشين مشروع الطرامواي الرابط بين الرباط وسلا، وقنطرة مولاي الحسن ونفق الأودية.

تتميز هذه المشاريع الحضرية، كما أشرنا أعلاه، بالاعتماد على رأس المال الأجنبي بالدرجة الأولى. فعلى سبيل المثال، أنجز مشروع الطرامواي من طرف شركة «ألستوم» الفرنسية بينما تولت شركة «بيزاروتي» الإيطالية بناء نفق الأودية، ناهيك عن تدفق رأس المال الخليجي عبر شركة «سما دبي» المكلفة بمشروع «أمواج» السكني التي انسحبت منه لاحقاً. وفي ذات السياق حُوّلت «وكالة تنمية وادي أبي رقرق» بعدما تم تأسيسها بموجب القانون بالإشراف على تطوير المنطقة المحاطة بوادي أبي رقرق الذي يشق منطقة الرباط - سلا - تمارة، ثاني كبريات المناطق في المغرب من حيث السكان والنشاط الاقتصادي. فقد سببت الوكالة تعارضاً مجالياً وصلاحياتياً مع السلطات المحلية لمنطقة الرباط - سلا، مما يجعل من إنشاء هذه الوكالات حيلة من حيل النموذج النيو- ليبرالي للقفز من فوق مؤسسات الدولة، وعلى غرار هذا المثال أيضاً هناك «سلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة» في الأردن. وهذه ظاهرة من الظواهر الرائجة في الوطن العربي والعالم الثالث للكيانات الإدارية التي يتم إنشاؤها لخلق فضاءات موازية للدولة مرتبطة ارتباطاً مباشراً بمراكز الرأسمال المعولمة. ويدخل هذا النوع من الأدوار الجديدة للدولة في إطار توصيات البنك الدولي لتبني «الحكم الرشيد»، الأمر الذي يعني حرفياً رهن سيادة الدولة لرأس المال الدولي والمحلي بلا قيد أو شرط.

فبرغم الشعرات الجذابة التي تسوّق لمثل هذه المشاريع الحضرية، فإنها في الحقيقة لا تساهم بحل مشكلة البطالة جذرياً، حيث كثيراً ما تعتمد الشركات المستثمرة على كوادرات ومهارات من خارج المغرب بدل إقحام العاطلين المحليين ذوي الشهادات العليا. يضاف إلى ذلك انتشار ظاهرة الاستطباق (gentrification) حيث تحل محل الطبقات المتوسطة والشعبية في تلك المناطق طبقات أرقى منهما نتيجة لزيادة قيمة الأجار والعقار بسبب ما طرأ على المناطق الحضرية من مشروعات التحسين والتطوير الحضري خارج أي حسابات تأخذ الجانب الاجتماعي بعين الاعتبار.

أما على الصعيد الصناعي، فتندرج الاستثمارات الصناعية بالمغرب تحت سقف ترحيل الأنشطة (offshoring) من البلد الأم إلى بلدان أخرى، غير أنه يوجد نوعان من الترحيل، فهناك الترحيل الذي يأتي من أجل المناولة (out-sourcing) وهو الوضع الذي يعيشه المغرب، حيث يأتي مصنعو سيارات فرنسية مثل «بيجو» و «رونو» بغرض الإنتاج بالمغرب من دون نقل التكنولوجيا، بحيث يكون الهدف الأول للتصنيع هو استغلال اليد العاملة الرخيصة. وهناك الترحيل ذو الطبيعة الصناعية، وهو الذي عرفته الصين المتبينة لنموذج التنمية المستقلة، والتي كانت تربط استقرار مصنعين كبار لديها في قطاع السيارات أو الطيران بنقل التكنولوجيا. ونحن نرى أن الصينيين أضحووا ينتجون سياراتهم الخاصة وطائرات من أجل حركة النقل الداخلي.

وفي ظل صعود النزعة الشعبوية في الغرب، يجري اليوم الحديث عن مفهوم عودة الاستثمارات إلى البلدان الأم (re-shoring). وبحسب هذا المفهوم يفترض في مجموعات مثل «رونو» أو «بيجو» الاستثمار في فرنسا بدل المغرب، وقد شهدنا كيف هاجم وزير الاقتصاد الفرنسي، برونو لومير Bruno Le Maire استثمارات بلاده في قطاع صناعة السيارات بالمغرب، قائلاً إنه شكل لجنة مختصة لإعادة التفكير في هذا النموذج الاستثماري، في إطار إعادة توطين هذه الاستثمارات بفرنسا. وهو أمر قد يعرض المغرب لمخاطر اجتماعية حيث سيفضي الرحيل المحتمل لهذه الاستثمارات إلى توسيع دائرة البطالة، وبالتالي يصبح التوجه نحو الصناعة بمعنى التصنيع (Industrialization) حاجة ملحة، وهو أمر يفترض سلسلة مقدمات من قبيل التوفر على قرار سياسي مستقل وفك روابط التبعية الاقتصادية بخطوات ثابتة ومدرسة جيو-سياسياً واقتصادياً.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

باختصار، لا بد من إعادة الاعتبار لمشروع الوحدة المغربية والعربية من بابة الاقتصاد، لا سيما إذا تم ذلك من خلال قراءة نقدية لتجارب التنمية المستقلة التي شهدتها الوطن العربي والأفق الذي يتيح صعود مجموعة البريكس وغيرها من الدول الصاعدة. إن المقاربة الاقتصادية لفكرة الاندماج الإقليمي والعربي تجذب فئة مهمة من المجتمع العربي مثل الصناعيين والتجار والعاطلين عن العمل لأنها مرتبطة بمصلحتهم المادية على المدى الطويل بشكل مباشر. وتروج مشروع التنمية المستقلة إقليمياً وقومياً بإمكانه تحريك هذه الفئات نحو مشروع الوحدة العربية، بالأخص إذا تم إقناعها بأنه لم تتبق دولة في العالم إلا وهي مندمجة في كتلة إقليمية أو قارية كما هو الحال في القارة الآسيوية وأمريكا اللاتينية. إن اندماج هذه الدول اقتصادياً فيما بينها وتبنيها نهج التنمية المستقلة يجعلها أنجح في بناء القدرات الاقتصادية والعلمية والعسكرية وتوسيع دائرة الطبقة الوسطى، بعكس الدول التي اختارت أن تدور في فلك "وفاق واشنطن" الذي جعلها رهينة شروط البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.

المراجع:

Koenraad Bogaert, Globalized Authoritarianism: Megaprojects, slums and class relations in Urban Morocco, - University of Minnesota Press, London, 2018

- جواد النوحى: مقارنة سياسية للاستثمارات الأجنبية في المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، 2009.

- فرنسا تُهاجم "رونو" المتواجدة بالمغرب: <https://ar.le360.ma/economie/158273>

- محمد الشيكري: ترحيل نشاط "رونو" و"بوجو" إلى المغرب هدفه التشغيل وليس نقل التكنولوجيا: [http://ar.telquel.ma/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D9%83%D8%B1-%D8%AA%D8%B1%D8%AD%D9%8A%D9%84-%D9%86%D8%B4%D8%A7%D8%B7-%D8%B1%D9%88%D9%86%D9%88-%D9%88-%D8%A8%D9%88%D8%AC%D9%88-%D8%A5%D9%84/?fbclid=IwAR0YFB3oa-GZargBtPStJf9W4am0PdIJCYW\\_1v-3qbIB\\_AjrERGGQPe6kHLk](http://ar.telquel.ma/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D9%83%D8%B1-%D8%AA%D8%B1%D8%AD%D9%8A%D9%84-%D9%86%D8%B4%D8%A7%D8%B7-%D8%B1%D9%88%D9%86%D9%88-%D9%88-%D8%A8%D9%88%D8%AC%D9%88-%D8%A5%D9%84/?fbclid=IwAR0YFB3oa-GZargBtPStJf9W4am0PdIJCYW_1v-3qbIB_AjrERGGQPe6kHLk)

النظرية القومية والأمة من وجهة نظر الغربيين: التخيل والمصلحة السياسية كأساس نظري

فارس سعادة

الدولة أو "الوطن" الذي نعرفه ونعلم شكله الآن جغرافياً واصطلاحياً واجتماعياً وتاريخياً... الخ، ما هو إلا جزء من كل أو مجموعة أجزاء غير حقيقية تاريخياً، فالوطن يختلف عن الدولة السياسية كما يختلف مصطلح الأمة عن مصطلح الشعب.

فقد أنهت اتفاقية وستيفاليا "Westphalia" الحروب التي امتدت لأكثر من ثلاثين عاماً بين الممالك والإمبراطوريات الأوروبية، وتم توقيع الاتفاقية في العام 1648، وقد أرست معاهدتنا الاتفاقية مبدأ استقلال وسيادة الدول كنظام سياسي حديث للقارة الأوروبية (Magone, 2015; Croxton, 1999).

أي أن الشكل الحديث للحدود السياسية بين الدول بدأت ملامحه تظهر ولو على الورق بعد عام 1648، وبالتالي فإن سيطرة دول القارة الأوروبية في تلك "الفترة الكولونيلية" على الكثير من جغرافيا الكرة الأرضية أسس للكثير من حدود وأشكال الدول الأخرى في أنحاء مختلفة من العالم، إضافة إلى ذلك فإن هذه الدول الأوروبية الكولونيلية سيطرت على حقول العلم والمعرفة المختلفة التي وظفتها في صالحها غالباً، مما حوّر النظريات السياسية والاجتماعية في المناطق الجغرافية الأخرى من العالم حول المعرفة والنظريات الأوروبية بشكل كبير.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد



وفي خضم الثورة الصناعية في أوروبا وتكديس الذهب والمواد الخام المسروقة من الأراضي الجديدة في الأمريكيتين وآسيا وإفريقيا، كان لا بد من تنظيم أمور الدول الأوروبية من هولندا إلى البرتغال وإنجلترا وفرنسا وغيرها من الدول الاستعمارية، وفي محاولة لترسيخ سيادة هذه الدول، كان لا بد من العمل على تأسيس هذه الدول من الداخل على المستوى الرسمي المنظم، أي السياسي، وعلى المستوى الشعبي، أي السيطرة على الكتلة الرئيسية من الشعب الذي يشكل "الأمة".

وقد أشار إريك هوبزباوم "Eric Hobsbawm" في العام 1983 إلى أن هناك مستويين في بناء الدولة الحديثة في أوروبا على المستوى الداخلي، الأول يتعلق بالتقاليد الاجتماعية السائدة، والتي تؤسس أو ترمز للتماسك الاجتماعي أو الانتماء للجماعات، سواء المجتمعات الحقيقية تاريخياً أو المصطنعة، والثاني يتعلق بالتقاليد السياسية الموضوعية، فتقوم بإعطاء الشرعية للمؤسسات أو تجيز أوضاعاً معينة أو علاقات سلطة تهدف إلى تمكين عمليات التواصل الاجتماعي وترسيخ المعتقدات ونظم القيم والأعراف السلوكية.

احتاج نشوء الدول الحديثة إلى شرعية تاريخية لفرض سلطتها السياسية على المجتمع وتوجيهه، وهنا قامت المؤسسات بتوظيف تقاليد معينة لتمكين سلطة الدولة، وتوحيد الهوية الوطنية أو القومية للمجتمع، أي عملية بناء أمة "Nation Building -"، وتعرف هذه العملية بأنها: "عملية تؤدي إلى تكوين دول يشعر فيها المواطنون بقدر كافٍ من الشعور المشترك من المصالح والأهداف والتفضيلات، بحيث لا يرغبون في الانفصال عن بعضهم البعض" (Alesina and Reich 2015: 3)، وتوظف هذه العملية بشكل ناعم غير واضح في كثير من الأحيان، إذ إنها تعمل ضمن المجالات السياسية والاجتماعية المختلفة، بحيث إنها توظف، في سبيل تثبيت سرديات اجتماعية وتاريخية معينة، الجغرافيا والتاريخ وعلم الآثار والفلكلور، وحتى الإرث التاريخي، والكثير من سبل المعرفة والعلوم.

نظرية بناء الأمة هذه تتعلق بالمستوى الأول التي تحدث عنه هوبزباوم، وهي تختلف عن نظرية بناء-دولة (State-Building)، فالأولى تستهدف تشكيل الهوية المحلية للشعب أو أمة ما، أي أنها تعمل على المستوى الثقافي والاجتماعي لتوحيد الشعب ضمن مفاهيم ومحتوى معين، والثانية تعمل على مستوى آخر يتعلق بتعزيز الدور المؤسساتي، أي بناء سلطة، فيحسب داينن "Dinnen" في العام 2006، فإن نظرية بناء-دولة تعني: "بناء دولة عاملة وقادرة على الوفاء بالسمات الأساسية للدولة الحديثة وتركز على بناء مؤسسات الدولة بشكلها العملي".

أخذت القومية كمفهوم عملي سياسي الكم الأكبر من اهتمام الدول الأوروبية وخصوصاً خلال القرن التاسع عشر في ظل التنافس الشرس بين دولها، فقد شهد القرن التاسع عشر نشاطاً كبيراً في إنشاء التقاليد السياسية والاجتماعية، أما التقاليد السياسية أو الرسمية فقد أرسيت دعائمها الدول والحركات السياسية المنظمة، والتقاليد الاجتماعية أو غير الرسمية فقد أسستها وقامت بها الجماعات غير المنظمة والتي لا تحمل أهداف سياسية غالباً.

ظهرت القومية كتقاليد سياسي واع كمصطلح اجتماعي-سياسي، أي كإطار سياسي وسيادي يحدد الحدود السيادية للدول في القارة الأوروبية، وتبلورت حديثاً خلال القرنين السابع والثامن عشر على مستوى الممارسة، إذ ارتبط بالاستقلال والكولونيالية معاً في بريطانيا وفرنسا، ففي القرن السابع عشر ومع صعود الثورة البروتستانتية والثورة الصناعية في بريطانيا، صعدت القومية كجزء من مبدأ الحرية الفردية (Liberty)، وفي فرنسا ومع نشوء الدولة الحديثة صعدت القومية، وتوجت صعودها بالثورة الفرنسية، بتأثيرات إنجليزية واضحة على فولتير وروسو (Kohn, 1955: 17-28; Farlane, 1985: 10).



تعد القومية من المصطلحات الشائكة التي اختلف على تعريفها وتحديدها علماء الاجتماع والسياسة، فهي بحسب هانز كون "Hans Kohn": "حالة ذهنية، حيث يشعر الفرد أن الولاء الأسمى يرجع للدولة الوطنية أو القومية، ويشعر بارتباط عميق بتربة أصلية واحدة، وبالتقاليد المحلية والسلطة الإقليمية الراسخة" (Kohn, 1955:1). وهي "ظاهرة سياسية يمكن أن توجد في أشكال عديدة، وهي خاضعة لتفسيرات متعددة وتجري من قبل وكلاء متميزين" بحسب فيرنانديز (Fernández, Carlos Cruz, 2004: 19).

لطالما رُبط مصطلح القومية بالكيانات السياسية، وهذا لا ينفى صفة القومية عن الجماعات البشرية غير المؤطرة بكيان سياسي موحد، بمعنى وجود مميزات ثقافية ولغوية وجغرافية وأخلاقية مشتركة تحدد وتميز الجماعات البشرية عن بعضها البعض بدون وجود كيان سياسي، ولكن ظهور الدول بشكلها الحديث خلال القرن الثامن والتاسع عشر، وتحديداً في القارة الأوروبية بصفتها القومية الحديثة، جعل من القومية صفة اجتماعية-سياسية أساساً.

وكما ذكرت في مقال سابق بعنوان: (صناعة الماضي وتخيله كمعزز ثقافي تاريخي للهويات المتخيلة «الجزء الأول»)، في العدد 64 من مجلة طلقة تنوير، فقد ذكر بندكت أندرسون «Benedict Anderson» في كتابه «الجماعات المتخيلة» بأن الأمة والقومية عبارة عن جماعات متخيلة وإن كانت هذه الجماعات لها كيان سياسي وتاريخ مشترك، وضليعة بالممارسة السياسية والإنتاج الثقافي والتاريخي فعرف الأمة بأنها: «جماعة سياسية متخيلة، حيث يشمل التخيّل أنها محددة وسائدة أصلاً» (أندرسن، 2009: 52).

ربط أندرسون ظهور الدولة القومية في أوروبا الغربية، أي ظهور الجماعات المتخيلة حسب وصفه، بتلاقي المنظومة الرأسمالية وتكنولوجيا الطباعة وتراجع اللغة اللاتينية كلغة مقدسة لصالح اللغات المحلية والتغيير في شكل السلطة الملكية (2009: 61)، وخلافاً لأرنيسست غيلنر (Ernest Gellner) أكد على أن فهم القومية لا يجب أن يبنى على أساس ربطها بالأيديولوجيات السياسية المتبناة بوعي، بل عبر ربطها بالمنظومات الثقافية الكبرى التي سبقتها، والتي ظهرت انطلاقاً منها وضدها في آنٍ معاً (2009: 57).

وقد اعتبر أندرسون منظمتي الجماعات الدينية والسلالة الملكية من المنظومات الثقافية التي يمكن من خلالها فهم القومية في إطارها الأوروبي المركزي، وبالتالي يمكن فهم أمة ما وتحديد هويتها الثقافية والقومية (2009: 57)، إذ علل أندرسون تراجع الجماعات الدينية والسلالة الملكية بالثورات الأوروبية والثورة الصناعية، وبسبب التوسع الكولونيالي وتراكم رأس المال في أوروبا، وبسبب تراجع اللاتينية كلغة مقدسة مع ظهور تكنولوجيا الطباعة لصالح اللغات المحلية أو القومية (2009: 59-61).

قدم إيرنست غيلنر «Ernest Gellner» فهماً سياسياً للقومية، فقد أكد على أنها مبدأ سياسي أولاً، من خلال ربطها بالأيديولوجيا الاقتصادية-السياسية، التي تستطيع فرض ثقافة ما مهيمنة على الثقافات الأخرى «المنخفضة»، أو استيعابها من خلال التعليم الموحد ونمط الإنتاج الجديد «التصنيع»، وهي، أي القومية، من تصنع الأمة من خلال النخب الثقافية (Gellner, 1983: 55).

فالقومية عند غيلنر هي: "مبدأ للشرعية السياسية"، لأن الثقافة أصبحت مهمة جداً لدرجة أنها "لا تبرز البنية: بل إنها تحل محلها" (Gellner, 1964: 155)، وقد طرح إيرنست غيلنر نظرية القومية بشكل مختلف عن أندرسون، حيث أنه أعطى للأساس الاقتصادي الأولوية في الصعود القومي وربطه في أوروبا بالثورة الصناعية وفرض "ثقافة عالية" على المجتمع لتحل محل الثقافات المحلية أو "المنخفضة"، أي شطب أو تهميش الثقافات المحلية المتنوعة لصالح ثقافة قومية تعم المجتمع وتساعد في تلبية احتياجاته أو دمجها ضمن ثقافة قومية شعبية توحد الجميع لصالح علاقات الإنتاج الجديدة التي برزت مع الصعود الرأسمالي أو الصناعي حسب غيلنر في أوروبا (Gellner, 1983: 18-49).

فبحسب أوليري (O'leary, 1997: 199)، فإن غيلنر قد ربط الصعود القومي في أوروبا بالتغير الذي حصل في البنية الاجتماعية كذلك، من خلال "تصنيع المجتمع" والتحول من النمط الزراعي التقليدي إلى المجتمعات الصناعية التي كسرت الإقطاع في أوروبا وبالتالي كسرت حواجز التحول في البنية الاجتماعية الاقتصادية للفرد والجماعات.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

إن مفهومي الأمة والقومية بحسب غيلنر مفاهيم حديثة، تكون السلطة بحسبه هي المتحكمة والموجهة والمحددة للمعرفة، فهي من تحدد نوعية التعليم الموحد مثلاً وتفرضه (Gellner, 1964: 159)، إذ يعتبر أن الأمم منشآت حديثة بالكامل وأنها مطلب رأسمالي خُلقت لتلبية احتياجاته الإنتاجية والوجودية كدولة، وهذا ما يتعارض مع حقيقة أن تاريخ الكثير من الأمم خارج القارة الأوروبية وداخلها بل وتاريخ دول قديمة في أوروبا نفسها قائمة قبل صعود الرأسمالية بشكل سياسي واضح (Llobera, 1999: 18).

أما إريك هوبزباوم فقد عرّف القومية بأنها: "أيديولوجية يجب أن تتطابق معها الوحدات السياسية والوطنية" (Hobsbawm, 1990: 9)، هذا الطرح يتفق مع طرح غيلنر بأن الأمة هي نتاج مستحدث من قبل القومية، إذ يرجع هوبزباوم أهمية قصوى للبنى الفوقية في بناء الأمة والقومية ويرى أيضاً أن البنى التحتية هي أساس للدراسة والتحليل، بالتالي وبدون فهمها وتوظيفها لا يمكن لهذه القومية أو الحركات القومية الصعود (1990: 10-9).  
قسّم هوبزباوم مراحل تطور القومية إلى ثلاث مراحل (1990: 12):

1. فكرة الأمة الثقافية أو الفلكلور.
2. محاولة التعبئة والتوعية للأمة من قبل السياسيين.
3. مرحلة الدعم الجماعي للحركات القومية، قبل أو بعد ولادة الدولة.

تبرز هنا أهمية دور الماضي والتاريخ والتراث في تنشئة الأمم، واستخدامها من قبل السياسيين للتعبئة القومية التي أخذت حيزاً من فكر هوبزباوم حول القومية والأمة، ولكنه وضعها في إطار وظيفي لتبرير صنع الأمم الحديثة حيث إنه كما غيلنر وأندرسون يشددان على أن الأمم والقومية مرتبطتان بالحدثة (Hobsbawm, 1990: 14).

يطرح هوبزباوم وروجر في كتابهما "اختراع التقاليد" مواضيع ترسيخ الإحساس بالهوية الجماعية لخدمة بناء دولة، أي لخدمة أجندة سياسية عبر تبني سرديات تاريخية معينة، وعبر تبني تقاليد معينة موجودة وراسخة أو إبرازها من قبل قومية ما (Hobsbawm and Ranger, 1983).

إذ يعتبر هوبزباوم أن شرعية المطالبة بجغرافيا ما أو استقلال ذاتي يتطلب بناء سرديات تاريخية نعترف بها على نطاق واسع كوسيلة مشتركة بين الأغلبية لتعزيز الشرعية المطلوبة (Hobsbawm and Ranger, 1983: 9)، وفرّق هوبزباوم ورينجر، بين ثلاثة أنواع من التقاليد المختلفة (1983: 9):

1. تقاليد تؤسس أو ترمز للتماسك الاجتماعي أو الانتماء للجماعات، سواء المجتمعات الحقيقية أو المصطنعة.
2. تقاليد تنشئ أو تجيز مؤسسات أو أوضاعاً معينة أو علاقات سلطة.
3. تقاليد هدفها تمكين عمليات التواصل الاجتماعي وترسيخ المعتقدات ونظم القيم والأعراف السلوكية.

وربط هوبزباوم ورينجر النقطتين الثانية والثالثة بمبدأ الخضوع للسلطة أو للكولونيالية في حالة الهند في فترة الاستعمار البريطاني، وربط النقطة الأولى بمفهوم الأمة على سبيل الاقتراح بما أنه تقليد سائد (1983: 9).

يتضح أن المشترك الأكبر بين جميع هذه النظريات وغيرها حول القومية والأمة، وحتى الوطنية، هو التاريخ أي الماضي، فهو الصيرورة التي تمر عبرها الأمم والشعوب ويبقى في الذاكرة الجمعية، حتى أن المستشرق الفرنسي العنصري إرنست رينان اعترف بذلك وربط الأمة بالماضي حيث ذكر أن الأمة هي نتاج الماضي وتضحيات الأجداد، وبأن الأمجاد الحقيقية هي المرتكز الأساسي لفكرة الوطنية ذاتها (Renan, 1882: 10).

حادثة الأمم هي الرابط المشترك بين أغلب منظري القومية في أوروبا، وبالتالي فإن فكرة القومية لم تكن موجودة بالشكل السياسي الواضح المتجذر سياسياً وثقافياً بحسب هؤلاء المفكرين الغربيين، وهم في ذلك يصرون على ربط الأمم بالحدثة وهي فترة تاريخية معينة ارتبطت بالتوسع الإمبريالي، أي أنها أصبحت تحمل خصوصية تاريخية حدائية محددة (سميث، 2012: 36)، وأكرر ما ذكرته في مقالي السابق المذكور أعلاه من أن "التاريخ القديم للكثير من الشعوب والأمم يعكس حقائق أخرى تثبت أن الوجود السياسي لأمة ما كان حاضراً على كافة المستويات وتحديداً السياسي منها،



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

فالدولة العربية الإسلامية كانت تحمل صفة عربية في تاريخها الأول وقد ذكر الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" أن "دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان أموية عربية" (الجاحظ، 1932: 206)، رغم أن هناك مبالغة في القول بأن قيادة العرب سقطت مع ذهاب حكم بني أمية إلا إن المعنى القومي ظاهرٌ في تلك الفترة بشكل واضح، إن لم يكن الأساس في الصراع القائم على كثير من المستويات في تلك الفترة، بحسب عبد العزيز الدوري (الدوري، 2006: 51)؛

في المحصلة نستنتج أن القومية وبالرغم من أن النظرة الغربية لها هي نظرة "ميكافيلية"، وتستخدم القومية كعامل قوة لصالح الدول الاستعمارية أساساً، إلا أنها أساس في بناء الدول الأوروبية، التي تنطلق من مصلحة قومية أساساً في الدفاع عن مصالحها على حساب الدول الأخرى حتى الأوروبية منها، لذلك ليس من الغريب أن نرى هذه الدول التي تعتمد على تعزيز الانتماء القومي لدى مواطنيها، تعادي كل توجه قومي لدى الشعوب غير الأوروبية في الصين والهند والوطن العربي وأمريكا اللاتينية، إضافة إلى ارتكاز السياسات الغربية على تمزيق أي كتلة اقتصادية أو سياسية يوحد الدول أو الأمم خارج القارة الأوروبية.

وبالرغم من أن استخدام مصطلح أو تسمية "الميكافيلية" للدلالة على سياسة المصلحة، بغض النظر عن الطريقة أو الوسيلة التي تتبعها الدول لتحقيق أهدافها، لأن ميكافيلي أولاً وأخيراً كان يهدف إلى توحيد إيطاليا وتخليصها من التبعية للخارج، إلا أن "ميكافيلية" النظام العالمي الآن ستؤدي في النهاية إلى زيادة التوجهات القومية لدى الدول التابعة والمتخلفة، وذلك بالنظر إلى تصاعد الصوت اليميني في أوروبا والعودة بشكل صريح من قبل الدول الأوروبية إلى السياسية الاستعمارية في إفريقيا وآسيا في مواجهة الصين وروسيا من جهة، وفي مواجهة المحاولات غير المباشرة لبعض الدول للاستقلال الاقتصادي عن أوروبا كما في مصر الآن على المستوى الاقتصادي وفي فنزويلا وبوليفيا والجزائر.

إضافة إلى تقلص الفارق بين القوة الغربية عسكرياً مقارنة بالصين وروسيا، وحتى دول أصغر كمصر والبرازيل، يصب في صالح الأصوات المنادية بالاستقلال النهائي عن التبعية للغرب والولايات المتحدة الأمريكية، ففي النهاية لا بد من المواجهة والتناقض بين المستعمر والمستعمر، لا سيما أن المواجهات في بحر الصين وفي سورية أو إيران أصبحت حقيقة واقعة وواضحة للجميع.

وفي النهاية فإن الاحتجاجات التي تكتسح فرنسا وأجزاء أخرى من أوروبا على الأوضاع الاقتصادية من جهة، وفي مواجهة سيطرة الشركات متعددة الحدود من جهة أخرى في فرنسا، والاحتجاجات التي تعم الكثير من المدن الأوروبية ضد موجات اللاجئين وعمليات التجنيس الجماعية، ما هي إلا موجة قادمة من العودة والحنين إلى الشكل القديم من الدولة القومية "العنصرية" في أوروبا.

## المراجع:

- أندرسون، بندكيت، (2009)، الجماعات المتخيلة تأملات في أصل القومية وانتشارها. ترجمة: ثائر ديب، بيروت: شرطة قدمس للنشر والتوزيع.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1932)، البيان والتبيين. ط2، ج3، حققه وشرحه حسن السندي، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.
- الدوري، عبد العزيز، (2006)، العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي. (ج3) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- سميث، أنتوني، (2012)، الأسس الثقافية للأمم، الهرمية والعهد والجمهورية. ترجمة: صفية مختار، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوني.
- غيلنز، إرنست، (1999)، الأمم والقومية. ترجمة: مجد الراضي، دمشق: دار المدى.

- Alesina, Alberto and Reich, Bryony, (2015), Nation-Building. Harvard and IGIER Bocconi: University College London.



- Croxton, Derek, (1999), "The Peace of Westphalia of (1648) and the Origins of Sovereignty". The International History Review, vol (21), no. 3: p. 569. JSTOR, www.jstor.org/stable/40109077 .
- Dinnen, Sinclair (2006), Nation-building – concepts paper. Australian, National University: Canberra.
- Farlane, Neil, (1985), Superpower rivalry and 3rd world radicalism, The idea of national liberation. Australia: Billing and sons limited.
- Fernández, Carlos Cruz, (2004), Nationalism in Northern Ireland, A study of Influences that Sustain Nationalism, the Case of Orangeism. Mexico: Universidad de las Américas Puebla.
- Gellner, Ernest, (1983), Nations and Nationalism. Ithaca: Cornell University Press.
- (1964), Thought and change. Chicago: University of Chicago.
- Hobsbawm, Eric, (1990), Nations and nationalism since 1978, Programme, myth, reality. Cambridge: Cambridge University Press.
- Hobsbawm, Eric and Terence Ranger, (1983), The Invention and Tradition. Cambridge: Cambridge University Press.
- Kohl, Philip, L, and Facwett, Clare, (2000), Nationalism, Politics, and the practice of Archaeology. United Kingdom: Cambridge University.
- Kohl, Philip L, (1998), "Nationalism and Archaeology, On the Constructions of Nations and the Reconstructions of the Remote Past". Annual Review of Anthropology, vol (27): 223 –246, from, JSTOR, www.jstor.org/stable/223370.
- Kohn, Hans, (1955), Nationalism its meaning and history. United State of America: D.Van nostr and company.
- Llobera, Josep, (1999) Recent Theories of Nationalism. Barcelona: University College London.
- Magone, Jose, M, (2015), Rutledge Handbook of European Politics. New York: Rutledge.
- O'leary, Brendan, (1997), On the nature of nationalism an appraisal of ernest gellner writing on nationalism. Cambridge: Cambridge University press.
- Renan, Ernest, (1992), "What is a Nation?" text of a conference delivered at the Sorbonne on March 11th, (1882), in Ernest Renan, Qu'est-ce qu'une nation? Presses-Pocket, (translated by Ethan Rundell): Paris.

## قرنان من الصراع: الحركات الشعبية في سياق السؤال النهضوي العربي

### بشار شخاترة

شكلت الحملة الفرنسية على مصر باكورة الأسئلة حول النحن والآخر، حول موقعنا في السياق الحضاري الإنساني، وحول حقيقتنا الهوياتية وحول رصيدنا كأمة من التحولات الضخمة الحاصلة في العالم الغربي الرأسمالي الأخذ في التمدد على كافة الصعد، فقد مثلت الحملة الفرنسية الصدمة الأولى المؤثرة بعد طول انقطاع منذ زمن الحروب الصليبية شهد خلالها الإنجاز الحضاري العربي مرحلة الأفول بالتزامن مع صعود العسكرية التركية إلى واجهة الحدث المشرقي تلاه التمدد نحو المغرب العربي ومصر، فقد دخلت الحالة العربية مرحلة التجمد والتكلس التام في مفاصل الحياة العربية وعلى كل الصعد وبما يعاكس الحالة الأوروبية الصاعدة.

على إثر هذه الحملة بدأت تطرح الأسئلة الكبرى حول الفارق بين مستويات الحضارة بين الشرق والغرب، خصوصاً بعد انكشاف السلطنة العثمانية على الأطماع الغربية وعجزها عن حماية الولايات العربية الخاضعة لسلطانها، ومع تعمق الصراع الأوروبي على الوطن العربي وخضوع بعض أجزائه للاستعمار المباشر ازدادت وطأة الإحساس بالتخلف الحضاري عن العصر.

لم تنتظر حالة الصدمة طويلاً فقد بادر محمد علي باشا إلى الإجابة عن السؤال الحضاري الأهم وهو أن حالة التخلف بدأت مع غياب المشروع القومي وستعود مع مشروع قومي جوهره تصنيع الاقتصاد مبتدئاً من الجيش الذي كان الحامل لمشروع تصنيع وتطوير مصر والمنطلق نحو وحدة التراب القومي من منطلق أن أمن مصر يبدأ من حلب وتأمين أعالي النيل والهيمنة على المتوسط، كل هذه البنود كونت مشروع محمد علي العربي والتي بشرت بباكورة إمبراطورية عربية جديدة وعلى أسس حديثة مستفيدة من التطور الغربي في ظل الصراع الفرنسي-البريطاني، لكن



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

## الباشا و الرئيس



مع انهيار مشروع محمد علي وانكفائه داخل مصر عادت عقدة التخلف عن العصر وأطروحات النهضة ومواكبة العصر الشغل الشاغل للمفكرين العرب، واستمر هذا السؤال مدار بحثٍ وعنواناً لأهم حركات وأحزاب التحرر العربي، وكان هذا الموضوع هو الهاجس لأي تحرك جماهيري في ربوع الوطن من مشرقه إلى مغربه.

فمنذ انطلاقة محمد علي باشا إلى الثورة العربية الكبرى على الاستعمار التركي والتي سقطت في مستنقع الاستعمار الأوروبي ومثلت خديعة كبرى لأحرار العرب بما رافقها من ملبسات تكشف لاحقاً كانت أداة وللأسف لتمزيق المشرق العربي، لنلج في عصر الأحزاب والحركات قومية الطابع من البعث إلى القوميون العرب وصولاً للتجربة الناصرية التي نهجت نهجاً قومياً مستفيدةً من زخم مصر في الواقع العربي، كل ذلك كان حصاد قرنين من الزمن من المحاولات الحثيثة نحو الولوج إلى العصر، كانت البداية في مطلع القرن التاسع عشر حيث لم تكن الفوارق شاسعة لدرجة لا يمكن اللحاق بها بين الواقع العربي والواقع الأوروبي في حينه، ومع تقدم عجلة الصناعة في العالم الرأسمالي كان استشراس التخلف العثماني في المشرق العربي ضد أي بادرة تقدم، وتطوير مصر ومن ثم احتلالها والهيمنة

على المغرب العربي وصولاً إلى الاحتلال المباشر للمشرق العربي من قبل بريطانيا وفرنسا وإعمال منظومة النهب الاستعماري للوطن العربي حيث تراجعت الحالة العربية إلى الخلف أكثر مع اضطراب الصعود الأوروبي قديماً في تطوره، حتى وصلنا إلى عصرنا الحاضر وقد تراجعت منظومة العرب الفكرية التي كانت تجترح الأفكار والحلول في محاولة الخروج من عنق الزجاجة إلى مرحلة تختصر الحل بإطالة اللحية وتقشير الثوب وتقديس اجتهادات فقهية مضى عليها ما يزيد على اثني عشر قرناً، اجتهادات فقدت ارتباطها بالواقع في معظمها وأصبحت خارج العصر. ونحن في درجة من السلم الحضاري يفصلها عن العصر الحديث فترات زمنية ضوئية شاسعة، ويصبح فيها اليأس والانحطاط والانغلاق على الذات وتبني خطاب سلفي رجعي سمة المجتمع العربي وهذا في إطار بحثه عن التقدم والتطور والانطلاق نحو العصر من خلال العودة إلى الماضي المجيد، هذه العودة المجردة من عوامل وقوانين ذلك الماضي الذي نهض ضمن مقاييس عصره، فأصبح البحث عن المستقبل بين صفحات الماضي هو العنوان لخلع ثوب التخلف وكان رائد هذه النظريات هو جماعات الإسلام السياسي.

لكن الملاحظ أنه عبر قرنين من الزمن انطلقت الحالة العربية من أخذ الدولة للمبادرة عبر جهازها العسكري والبيروقراطي مستفيدة من سلطتها ومن تراكم بعض الرساميل، منتقلةً إلى الحركات المسلحة وصولاً إلى عصر الأيديولوجيا والتنظيمات الأيديولوجية وصولاً إلى حالة فريدة في الواقع العربي والمتمثلة بـ“الربيع العربي”، والذي أخذ شكل الهبات الشعبية التي تستهدف إسقاط الأنظمة السياسية، وأصبح عنوان المرحلة كسر كل المحرمات السياسية في الواقع العربي وصولاً إلى إسقاط الدولة القطرية ذاتها، وتجلت سمة غياب الأيديولوجيا تماماً وبروز الحالة المطلبية وقفز كثير من المتسلفين من أشخاص وتنظيمات ودول على الهبات الشعبية وتجييرها لابل واختراقها، ولعل الفائدة الوحيدة للربيع العربي هي أنه كسر حالة الجمود على المستوى النفسي للمواطن العربي، إلا أن الحركات العربية (الربيعية) سقطت في مستنقع موحل حزف مسار الجماهير إلى مواضع غير محمودة وخطيرة.

فالحراك الربيعي العربي انطلق من حقائق قائمة من بؤس وفقر وشعور بالإحباط والهزيمة والاعتراب للمواطن العربي في وطنه، ومن مطالب مشروعة ومن فساد متوغل في بنية الدولة العربية إجمالاً، لكن المسار انقسم في عدة



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

اتجاهات وأنتج سياقات سياسية مختلفة اختلفت تبعاً لردات الفعل الداخلية ولطبيعة الحراك العربي في كل قطر وقعت فيه الحالة الربيعية.

تباينت نتائج "الربيع العربي" أيضاً من قطر لآخر تبعاً لطبيعة السيناريو الخارجي الذي أُطبق على الحراك الجماهيري، فلا مجال للقول إن الحالة الربيعية هي حالة واحدة عبارة عن ثورة ضد الظلم والتهميش والفساد، فإذا كان الدافع الأول لها كذلك فإن الممارسة والتطبيق، ومن ثم النتيجة، اختلفت تماماً، فما جرى في ليبيا يختلف عنه في مصر وتونس ويختلف عنه في اليمن وسورية ويختلف عنه في الجزائر والسودان، فإذا قلنا إننا أمام حالة من حالات الحيوية المجتمعية العربية التي تخلق أدواتها السياسية والنضالية في سبيل اللحاق بالعصر إلا أنها بسبب افتقادها للفكر والمشروع والبرنامج، وافتقادها للقيادة والتنظيم، وقعت فريسة سهلة في قالب التجبير والتوجيه لصالح قوى معادية، حولت الصراع من ثورة مفترض بها تصحيح المسار إلى ثورة مضادة للثورة ذاتها ولمشروع التغيير المنشود، وأصبحت معولاً لتدمير بنية الدولة والانطلاق لمحاورة محاولات بعث ثورة نهضوية.

الحالة الجزائرية مثلت نوعاً مختلفاً من الربيع الذي أُلغى خلال هذا العقد، واكبها الجيش وأوصلها إلى بر الأمان مستلاً سيف محاربة العصابة الفاسدة ومتجاوزاً لحالة التأزيم التي حاولت التدخلات الخارجية أن تفجرها في الشارع الجزائري، وهذا برهان مهم على سلامة المنطق الذي تبنيته سابقاً في أعداد سابقة في "طلقة تنوير" من أن محورية الجيش مهمة لضمان الانتقال الآمن للتحويلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في أي قطر عربي، وأن مهمته لا تنحصر في خوض الحرب للدفاع عن الوطن بل أن حفظ السلم الأهلي ووحدة النسيج الوطني والاجتماعي من أهم مهامه، وقد تم للجيش الجزائري ما أراد وأوصل البلاد إلى حالة يملؤنا الأمل بها أن تصل بالجزائر إلى دورها الوطني والقومي، وأن تكون رافعة للعمل القومي.

إلا أن هناك حالات مغايرة، كما في سورية، وبرأينا مارس الجيش العربي السوري ذات الدور الذي قام به الجيش الجزائري مع الفارق، وذلك لأن المعركة التي تقرررت على أرض سورية اختلفت عنها في الجزائر، ولأن عسكرة الحراك الشعبي بسرقة من حالته الطبيعية المطلوبة السلمية المطالبة بمحاربة الفساد وتوزيع الفرص إلى آخر المطالب وتوجيه الحراك الشعبي واختطافه إلى محاربة الدولة ومنجزاتها.

إن أشد حالات القباحة وضوحاً للربيع العربي تجسدت في المشهد الليبي لجهة أن النتيجة غدت واضحة للعيان من دون تزويق ولا مجال فيها للقول إنه لو نجحت (الثورة) لكانت حققت مشروعها الديمقراطي النهضوي، وفي المشهد الليبي عجزت قواته العسكرية (الجيش) عن الصمود أمام العصابات الربيعية ومن خلفها الناتو علناً، ومع ذلك ما زال هناك من يدافع عن نموذج "الربيع العربي".

ويبقى السؤال النهضوي مطروحاً على الأمة وعلى جماهيرها قائماً ومطروحاً، وتبقى المحاولات برسم الإجابة، على أنه إن جاز أن نصف بحق "الربيع العربي" على أنه محاولة برسم الجواب على السؤال النهضوي، فإنه كان المحاولة الأكثر تدميراً وقد شكلت ارتداداً نوعياً عن طموحات الشعب العربي.

هل نخطئ المحاولة ونخطئ في كيفية البداية؟ هل الشروط الموضوعية للنهضة ولدخول العصر لم تتحقق بعد كما يصفها البعض؟ وهل لا بد من السياق الموضوعي الأوروبي للانطلاق بنشوء البرجوازية العربية التي يقع عليها عبء حمل مشروع الوحدة والنهضة؟

إنه لمن الخطأ إسقاط تجارب الغير على واقع مختلف تماماً كواقعنا، فالترجمة الأوروبية وبرجوازيته التي حملت مشروع الدولة القومية ليس بالضرورة هو المشروع الأنسب أو الترياق لكل الحالات التي تبحث عن فرصتها للنهوض، فإذا كانت نظرية الصراع الطبقي صحيحة في مجتمع طبقي، فماذا نقول لمجتمع منقسم على أسس غير طبقية، إما على أسس دينية أو مذهبية أو قبلية، هذه هي حالة المجتمع العربي فالبنية (الطبقية) قائمة على أساس غيبي لا شعوري إيماني تتحكم في كثير من توجهاته، وخصوصاً في عصر البترودولار معايير الثواب والعقاب الإلهي (الحلال والحرام)، وعلاوة على ذلك هناك تخلف البنية الاقتصادية العربية، فعلاقات الإنتاج القائمة لا تسمح على الإطلاق بنشوء طبقة برجوازية بل تخلق كمبرادوراً مقابل جماعات مشتتة من العمال لا ترتقي للقول بوجود طبقة عاملة، وعليه فإن الصراع الطبقي لا مجال للقول فيه لخلق الحيوية اللازمة لتعميم الحريات وحقوق العمال وقبلهما



العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

ضلوع البرجوازية بالعمل على وحدة السوق القومية، فهذه جميعاً مجرد تهويمات يغرق فيها البعض من أجل تشريح الواقع العربي، لهذا نقول إن الاشتراط المسبق لدخول العصر بوجود برجوازية وطنية تضطلع بدور يشبه دور البرجوازيات الأوروبية في بناء الدولة القومية والثورة الصناعية غير محق.

الثابت الوحيد الذي يجب أن يستمر هو الصراع، ولا يشترط أن يكون طبقياً، فالصراع تجترحه الأمم على مقاسها وتبعاً لظروفها، فديمومة الصراع مهمة لاستمرار حيوية الأمم ولكن ضمن وعاء الأيديولوجيا والإستصبح بلا مشروع ولا هدف ومجرد خبط عشواء، فالصراع من أجل النهضة والتقدم وإنجاز المشروع القومي تمثل العناوين التي يتوجب علينا دائماً الدعوة لها والتحريض عليها، فالنضال القومي عبر قرنين من الزمن كان عبارة عن صراع مع الذات ومع الغير، فالمجهود النضالي استغرقته صراعات مريعة مع العدو الخارجي والذي تجلى بالقوى الأوروبية والأمريكية التي حاولت دائماً عرقلة مشروع النهضة العربي، وصولاً إلى تجويف الحراك في الشارع العربي وامتطائه فيما سمي بـ"الربيع العربي".

الصراع العربي مستمر وقد يكون على أعتاب مرحلة ما بعد الربيع العربي، والمخاض العسير القائم حالياً في أكثر من قطر عربي متعدد الأوجه، ففي بعضها يأخذ وجه تصفية قوى الثورة المضادة كما في سورية والجزائر واليمن، وهناك صراعٌ عثيٌّ أفرزته الحالة الربيعية على هامش تدمير بنية الدولة كما في ليبيا، وفي بعضها شهد انتصاراً محدوداً لقوى رجعية كما في تونس والسودان.

يبقى المشوار طويلاً أمام قوى الأمة الحية لإنجاز مشروعها واستمرارها في حالة اشتباك يقظ وواعٍ مع العدو وصولاً إلى تحقيق أهدافها حالة لا مناص منها.

## وجه مصر المقاوم.. من المسؤول عن تغييره؟!

### كريمة الروبي

"لست مهزوماً ما دمت تقاوم" .. مهدي عامل

يعد إعلان مصر تأميم قناة السويس والتصدي للعدوان الثلاثي في 1956 بمثابة نقطة انطلاق مصر نحو قيادة العالم الثالث للتحرك من الاستعمار، فقد ضربت مثلاً في المقاومة كان مثلاً ونوراً يهتدي به الثوار في كل مكان، هذا الوجه المقاوم (النموذج) لمصر هو ما عملت قوى النهب الغربية على تغييره، فلم تواجه منظومة النهب مقاومةً وتحدياً كالذي واجهته في فترة الخمسينيات والستينيات حيث الثورات في كل مكان وحركات التحرر الوطني تلقى دعماً مادياً ومعنوياً سواء ما تقدمه مصر للعرب وشعوب أفريقيا، أو ما يقدمه الاتحاد السوفيتي والصين لتلك الثورات، فكانت البداية بتغيير طبيعة النموذج المقاوم ليتحول إلى نموذج تابع وفي نفس الوقت العمل على إسقاط الاتحاد السوفيتي، وبذلك لا تجد حركات التحرر الوطني في أي مكان ما يدعمها أو يمنحها الأمل في الصمود.

بدأ التغيير في مصر باتفاقية كامب ديفيد واعتبار حرب أكتوبر / تشرين أول 1973 هي آخر الحروب، وإحلال الولايات المتحدة محل الاتحاد السوفيتي، وتسليم الإرادة باعتبار "أن 99% من أوراق اللعب بيد أمريكا"، بحسب أنور السادات. ولم تنته المساعي الرامية لتغيير كل ما يمثل نموذجاً للمقاومة، فكان تشويه الرموز الوطنية التي صمدت وتحصدت المستعمر ليتحول تاريخنا إلى سلسلة من الهزائم يعلم الأجيال أن الاستسلام أكثر جدوى من الصمود بدلاً من أن يدفع الأجيال اللاحقة للتصدي ومقاومة ناهبيهم.

إن تاريخ الأمم مليء بالصراعات والمواجهات التي تنتصر في بعضها وتهزم في أخرى، ولكن تبقى الهزيمة الحقيقية التي تعصف بأية أمة مهما كانت قوتها هي الهزيمة النفسية يوم أن تتخلى عن وجهها المقاوم لتبدأ بذلك أولى خطوات الاستسلام وتسليم الإرادة، وبالتالي الهزيمة.

إن الحروب مهما كانت قسوتها لا يمكن أن تهزم الشعوب، بل يهزمها ضعف الإرادة والاستسلام لفكرة العجز عن المقاومة



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد



والقبول بالأمر الواقع، وهو ما يحدث حين نعبث بتاريخنا المقاوم الذي سطر فيه الشعب ملاحم بطولية تظل نوراً تهدي به الأجيال المتعاقبة في دفاعها عن أوطانها، وحين نطفئ هذا القبس من نور المقاومة تنوء البوصلة ويفقد الوطن سلاحه الذي يمكنه من الدفاع عن نفسه ضد أي عدوان.

وتعد معركة بورسعيد ودحر العدوان الثلاثي من أنصع صفحات النضال الوطني، امتد تأثيرها خارج الحدود المصرية ليصل إلى كل الشعوب الحاملة بالحرية والاستقلال، وقد كان تأميم قناة السويس وما جرى عام 1956 الشرارة التي أيقظت عملاق القومية العربية النائم من المحيط إلى الخليج، لذا يراد لهذا النموذج أن يختفي من الذاكرة الوطنية، فحين تتجول في بورسعيد كل ما يجول في بالك هو تاريخها وصمودها وكفاح أهلها الذي مرغ أنف المحتل ولم يستطع أن يفرض على أهلها

الاستسلام، وحين تعبرُ قناة السويس تستذكر شهداء سقطوا أثناء حفرها وآخرين ضحوا بأرواحهم في معركة استردادها، وحين تزور المتحف الحربي تجد من صور ومقتنيات خاصة بمعركة العدوان الثلاثي وصور مقاوميهما تشعرك بالفخر بوجودك في قلب المدينة الباسلة التي أصبحت مثلاً عالمياً للصمود، ثم تكمل جولتك لترى قاعدة تمثال "دليسبس" عند مدخل القناة وقد قامت المقاومة الشعبية بتحطيم التمثال تاركة القاعدة شاهدة على تحطيمهم رمزاً من رموز الاحتلال والاستغلال والتبعية، فتزداد فخراً بتاريخ مفعم بالنضال وشعب إرادته فوق أي قوة ناهبة تسعى لاحتلاله ونهب ثرواته.

ولكن حين يقرر محافظ بورسعيد عودة تمثال "دليسبس" إلى قاعدته، فإن الأمر يتعدى مجرد عودة تمثال لمكانه، بل هي عودة لعصور الذل والتبعية، فهذا المخادع "دليسبس" هو من تأمر على جيش "أحمد عرابي" وكان له الفضل في احتلال مصر لأكثر من 70 عاماً، كما أن حفر القناة كان بهدف استعماري يتحكم من خلاله الاستعمار في حركة التجارة الدولية، وعودة التمثال لقاعدته هو احتفاء وتمجيد للمحتل في الوقت الذي يتم فيه تزييف التاريخ وتشويه صورة رموزنا الوطنية التي قاومت المحتل ووصفهم بالقادة المهزومين، على الرغم من أن مقاومتهم ووقوفهم ضد المحتل هو الانتصار الحقيقي، فهم ليسوا مهزومين ما دامت قيم المقاومة حاضرة تؤرق العدو، كما أنهم حققوا انتصارات عظيمة يحاول الجهلاء إخفاءها أو تشويهها في أذهان الأجيال الجديدة، وهو ما يعد بداية لمنح العدو انتصاراً مجانياً، وهزيمة لنا في معارك حالية ومستقبلية حتى قبل أن تبدأ.

لقد كان اختيار الزعيم جمال عبد الناصر لكلمة "دليسبس" كنقطة انطلاق لبدء تنفيذ خطة تأميم قناة السويس هو بمثابة إشارة لبدء مرحلة جديدة من رفض الهيمنة وتحدي التبعية والاستعمار بكل أشكاله، وعودة التمثال عند مدخل القناة بعد 63 عاماً من تأميمها هو تحدي للإرادة الوطنية واستدعاء لقيم التبعية والخضوع وانتصار للعدوان بعد هزيمته في 1956.

إن تغيير وجه مصر المقاوم (النموذج) لم يبدأ بعودة تمثال "دليسبس" ولن ينتهي به، بل إن عودة التمثال هو حلقة من سلسلة إجراءات للتخلص من النموذج المقاوم لمصر وطرح نموذج تباعي بديل عنه. لكن مصر، بقدرها الجغرافي-السياسي الذي يشدها إما للعظمة إن قاومت أو للعبودية إن استسلمت حكماها، لن يطول بها الأمر قبل أن تدرك أن نهوضها هو خيارها الوحيد، وأن الدرب الذي خطه محمد علي باشا وجمال عبدالناصر لها هو وحده ما يحفظ كرامتها واستقلالها مهما اشتدت الصعوبات وتراكت التضحيات، فليس من طريق إلى الاستقلال الوطني الحقيقي في هذا العالم من دون صدام مع قوى الهيمنة الخارجية،



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

وليس من تنمية اقتصادية حقيقية في قطر عربي، ولو كان فطراً مركزياً مثل مصر من دون مشروع قومي عربي، وليس من حفاظ على الأمن الوطني من دون استراتيجية للحفاظ على الأمن القومي العربي كما أدرك الفراعنة قبل أكثر من خمسة آلاف سنة أن أمن مصر يبدأ من شمال سورية.

## بين الأبيض والأسود: النظام المصري في الميزان

عبدالناصر بدروشي

عادة ما تميل العامة إلى تصنيف الناس والأنظمة والمواقف وفق منطق "الأبيض والأسود"، ولكن المنصفين المتحررين للدقة يدركون جيداً أن ما لم يكن أبيض ليس شرطاً أن يكون أسود..

فليكن واضحاً لمن سيقر هذه الأسطر بأن كاتبها لا يمتلك الرغبة ولا القدرة على الانخراط في دعم أو الدعاية لنهج أو لسياسات الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي لعدة أسباب تتمحور أساساً حول انخراطه في محور التطبيع وتموقعه في حلف معادٍ للأمة العربية.

إلا أن تصريحات الرئيس المصري الأخيرة التي قدم من خلالها نظريته وتصوره للصرعات التي تدور على مستوى الإقليم في كل من ليبيا وسورية وتبنيه موقفاً داعماً لضرورة استقرار الدولة الوطنية واستعادة عافيتها وضرورة إيقاف التدخلات الأجنبية في كلا القطرين العربيين تحت عنوان الدفاع عن مصالح المتدخلين يستوجب وقفة تحليلية موضوعية.

يسعى النظام المصري، على ما يبدو، إلى الدفاع عن مصالح مصر، وهو ليس مجرد بيدق صهيوني أو أمريكي كما يراد تصويره، وهذا الرأي نقدمه بموضوعية وبتجرد بناء على تحليل تصريحات ومواقف الرئيس عبد الفتاح السيسي، أما عن مشاعرنا وتكويننا العفائي والنفسي فهي لا تسمح لنا بالتورط في دعم السيسي دعماً مطلقاً وهو منغمس في التطبيع ويدور في فلك أحلاف الولايات المتحدة الأمريكية.

السيسي ليس قومياً، ولكي نفهم التناقض الذي يظهر في بعض مواقفه وتصريحاته لا بد من الأخذ بعين الاعتبار طبيعة المنظومة التي تخرّج منها، فهو تربى في صلب مؤسسة عسكرية لها إرث كبير مناهض للصهيونية والإمبريالية وهذا التوجه بناه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، وما تبقى من هذا التوجه الذي واجه حملة تهميش منظمة على مدى عقود كفيل بأن ينتج نزعة وطنية، إن لم تكن قومية فهي قطرية، لدى قطاعات واسعة من أبناء الجيش المصري، ويجدر بنا الإشارة إلى أن هذه المؤسسة التي ينتمي إليها السيسي سيطر عليها الخط العميل المطبع لعقود خلال فترتي حكم السادات ومبارك، وحتى حين حكم الإخوان وكان مرسي العياط رئيساً لجمهورية مصر العربية استمر الإخوان على نهج من سبقهم في التطبيع بل وزادوا عليه وأمعنوا في التفريط في السيادة الوطنية.

لم يتبن السيسي خياراً مناهضاً للتطبيع، وفضل السير على خطى من سبقوه مهتدياً ببوصلة "قطرية" قاصرة، ظناً منه أن هذا التوجه المبني على منطق يرى أن السعي نحو بناء مصر داخل حدود سايكس-بيكو والصعود بها يتوقف على تجنب الصدام مع القوى المعادية بقدر الإمكان ومساريتها حيناً (تعامله مع الأمريكان نموذجاً)، والتلاعب بها أو ابتزازها بنعومة حيناً آخر (الحصول على دعم مادي على شكل ودائع واستثمارات وهبات مقابل تحالفه القوي مع السعودية والإمارات



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

في الملفات التي تخدم أمن مصر ومصحتها مثل التصدي للنفوذ التركي وتحجيم التمدد الاخواني، والذهاب معها في باقي الملفات بالقدر الذي لا يكلف مصر ولا يورطها كثيراً (مثل رفض التورط في اليمن وسورية)، والصدام معها في احيان أخرى (مواقفه المناهضة للتوجهات التركية وإشارات انفتاحه على الروس من حين لآخر)، وتخفيض حدة التوتر على مستوى الإقليم (عبر مهادنة الكيان الصهيوني..).

ربما يكون الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي صادقاً في إخلاصه لمصر، وربما تكون توجهاته وطنية مصرية وربما لا تكون، ولسنا هنا بصدد محاكمة النوايا ولن نسلم أقالماً لتحركها مشاعرنا بدل عقولنا وعواطفنا الجياشة المناهضة للصهيونية وللإمبريالية والتي تزدرى كل من يهادنهما، فما بالناس بمن يطبع معهما؟!!

لكن حتى على افتراض صدق النوايا، نؤكد على أن البوصلة القطرية التي يعتمدها حكام مصر غالباً ما تؤدي إلى الإنحراف وانتهاك الثوابت كما حدث، ولن يقدر أي نظام يحكم مصر على الإفلات من قدرها الذي تفرضه الجغرافيا ولا مفر من مواجهة التحديات والظروف التي يفرضها الواقع بسبب وجود الإمبريالية.

ما لا تدركه المؤسسة العسكرية المصرية هو أن مصر لا توجد في فراغ وهي غير متحررة من قانون الجاذبية الجيوسياسي، ولن تتركها قوى الهيمنة الأجنبية تمضي في سبيلها في حال قررت أن تتأى بنفسها عن الصراعات الإقليمية والدولية..

وما لا يدركه حكام مصر هو أن الإمبريالية التي قسمت الوطن العربي، واجتزأت السودان من مصر وقامت بتقسيم السودان، والتي ما تزال تسعى لتفتيت ما تم تقسيمه لن تدع مصر لتستقر ولتزدهر..

كما أن حركات الفهلوة واللعب على الحبال ومسايرة الغرب وتجنب مواجهة الصهيونية غير كافية لتجنب مصر خطر التقسيم..

بصمات الكيان الصهيوني كانت حاضرة بوضوح في عملية تقسيم السودان ودعم الانفصاليين ودعم التكفيريين والارتباط بالإخونجة، ولا يخفى على النظام المصري الاختراق الأمريكي القوي للحراك الذي أدى للإطاحة بحكم مبارك والذي جاء بالإخوان، كما أن دعم الأمريكان للجماعات والأنظمة المعادية للمؤسسة العسكرية ولمصر واضح وجلي، فبالتالي يتبين لكل عاقل أن المواجهة ليست مجرد خيار بل هي قدر محتوم إذا ما كان السيسي أو غيره جاداً في مساعيه للنهوض بمصر وحمايتها والارتقاء بها.

ما لا يدركه العاقل بالمعرفة وبقراءة التاريخ سيصل اليه بالتجربة، ونأمل أن يستفيق النظام المصري وأن يعيد مصر لحجمها ولموقعها القومي الطبيعي القيادي والريادي، وفي هذا السياق نقتبس من كتاب "مشروعنا: نحو حركة جديدة للنهوض القومي" (2009):

"مصر هي أكبر دولة عربية، فالسيطرة عليها بشكل مباشر أو غير مباشر أصبح شرطاً لحكم الوطن العربي منذ دخلها الإسلام لا بل قبل الإسلام منذ حكمها الفرس والرومان.

وهذا قانون موضوعي، بمعنى أن الخلافة التي تفقد السيطرة على مصر كأهم مركز إقليمي، كانت تفقد سريعاً السيطرة على الوطن العربي. وبالمقابل، فإن عاصمة الخلافة كانت بالضرورة مركزاً إقليمياً أساسياً مثل العراق أو سورية أو مصر أو المغرب، فلا يمكن أن تكون عاصمة الخلافة فلسطين أو دجيبوتي مثلاً. وهو قانون موضوعي بمعنى أن الدور الذي حاول العراق أن يلعبه في الثمانينيات لم يكن ممكناً لو لم تخرج مصر من الصف العربي بعد كامب ديفيد لتترك فراغاً كبيراً في الساحة العربية. وبالتالي، فإن قدر مصر هو موقعها الجغرافي السياسي ووزنها، وهو قدر تاريخي لا مهرب منه إلا بالعبودية.

فلا وحدة ولا سوق عربية مشتركة ولا مواجهة مع الطرف الأمريكي-الصهيوني من دون مصر، ولذلك، فإن هدف اتفاقيات كامب ديفيد المنفردة كان إخراج مصر من ميزان القوى العربي-الصهيوني. والنقطة المركزية هنا هي أن ذلك يعني بالضرورة تدهوراً شاملاً ليس فقط للوطن العربي، بل لمصر نفسها،



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

فكل فكرة "إسرائيل" أتت لمواجهة تمدد النفوذ المصري شرقاً، وبالعكس طبعاً، لمنع تمدد أي دولة وحدة عربية غرباً باتجاه الشمال الأفريقي كما حدث في الفتوحات الإسلامية.

حسناً، فلننس الجغرافيا السياسية، ولنفترض أن مصر مثلاً أو العراق أو سورية أرادت ببساطة أن تنسى العرب وفلسطين وأن تبني لنفسها فقط قاعدة اقتصادية وعلمية تكنولوجية متقدمة:

أولاً، هذا يؤثر على ميزان القوى الإقليمي والدولي، فلا يمكن أن تسمح به الإمبريالية من دون مواجهة.

ثانياً، بناء القاعدة الاقتصادية غير ممكن دون السوق الكبيرة والموارد الهائلة، وهو ما يعني الوحدة العربية أو السوق العربية المشتركة، وهو ما يؤثر على ميزان القوى الدولي.

ثالثاً التكنولوجيا المتقدمة لها استخدامات عسكرية كما لها استخدامات مدنية.

إذن لو ابتدأنا من رغبة بسيطة لتحسين شروط الحياة المادية والتوظيف في الوطن العربي، سنجد أننا سنرتطم فوراً بقضية الوحدة والتوازنات الإقليمية والدولية، ومن ثم بالطرف الأمريكي-الصهيوني. وهذه هي تجربة محمد علي باشا في القرن التاسع عشر (مع بريطانيا وفرنسا وغيرهما)، وهي تجربة مصر عبد الناصر وتجربة عراق صدام حسين أيضاً عندما حاول أن يلعب كل منهما دوراً قومياً نهضوياً. "أنتهى الاقتباس

ويبقى السؤال الذي لا يطرحه خصوم السيسي ومنتقوه من القوميين هو:

ماذا فعلت القوى السياسية القومية واليسارية من أجل التصدي للتطبيع وإغلاق سفارة الصهاينة؟

فإذا لم تكن معاداة الصهيونية من أولويات النظام المصري، فيفترض بها أن تكون على رأس برنامج القوميين واليساريين، ومتى تراخى القوميون فلا ننتظر من غيرهم أن يتبنى مواقفهم.

لا يفوتني أن أذكر بالموقف الرخو الذي صرح به حمدين صباحي خلال حملته الانتخابية في مواجهة السيسي حين وجهت له الصحفية لميس الحديدي سؤالين حول الموقف من معاهدة "كامب ديفيد":

الصحفية: في حال كنت رئيساً لمصر هل ستلتقي بمسؤول "إسرائيلي" جاء في إطار مباحثات سلام مع محمود عباس مثلاً؟

حمدين: ربما أكون منشغلاً في محافظة أخرى أو افتتاح مصنع..

الصحفية: يعني ترفض اللقاء أو تقابله؟

حمدين: ربما أكون منشغلاً ولدي أعمال كثيرة ويستقبله مسؤول آخر في الدولة..

لم يقل حمدين صباحي بأنه في حال أصبح رئيساً سوف لن تكون هناك مباحثات سلام وأنه لن يسمح بدخول مسؤولين صهاينة بل تهرب من الإجابة وأعطى موقفاً رخواً وسطياً لا يليق بإرث خط جمال عبد الناصر الذي ينتسب إليه، وحتى حين سألتها الصحفية عن احتمال إلغاء معاهدة "كامب ديفيد" قال بأنه سيطرحها للاستفتاء! ولم يقل بأنه سيقوم بالغائها فوراً.

إذا كان ممن يفترض به أن يكون رأس حربة في مناهضة التطبيع ومشبعاً بأفكار ومبادئ جمال عبد الناصر مهانداً للصهيونية فلا غرابة في مواقف السيسي إذاً.

وإذا لم يشعر الصهاينة بأن وجودهم غير مرحب به شعبياً عبر احتجاجات واعتصامات ومطالبات وندوات فلن يبادر السيسي ولا غيره بتحقيق مطلب يمثلنا أساساً ولا يمثلته.

السيسي لم يصرح بأنه يحمل أهدافاً قومية أو مناهضة للصهيونية، فلنقم نحن بواجبنا أولاً، وقبل مطالبة الرجل يجب أن نطالب أنصار القومية العربية وأنصار فلسطين بالتحرك بقوة على الأرض وفي الإعلام وبكل السبل المتاحة،



العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

وإنه لمن المؤسف والمحزن أن نجد موقف السيسي من الأحداث التي تدور في ليبيا وسورية أفضل من موقف بعض القوميين واليساريين، فحين يناور النظام المصري ويتبنى الحياد على المستوى العملي، حتى وإن أدلى ببعض التصريحات هنا أو هناك أحياناً إرضاءً للسعودية والإمارات، وطمعاً في استثمار أموالهم نجد بعض الناصريين وبعض اليساريين والاشتراكيين "الثوريين" في خندق الإخوان ذاته مطالبين برحيل النظام الوطني في سورية وليبيا من قبل، وهم لا يتورعون عن دعم شخصيات معارضة رثة من أمثال هيثم مناع ومن هم على شاكلته.

إذا كان النظام يملك أن يفرض وجود سفارة الكيان الصهيوني على الأرض ويتمسك بـ"كامب ديفيد" فإن تراخي القوميين واليساريين هو خيار هم ولا يملك أحد أن يكسر إرادتهم إن وجدت، ومن البيهبي أننا لا نتحدث عن "أفراد" بل عن الأحزاب والتنظيمات التي يفترض أنها تحمل مشروعاً سياسياً قومياً ومناهضاً للإمبريالية.

## أكبر احتكارات الإعلام في العالم حتى عام 2019 ما تزال أمريكية

إبراهيم علوش

يمكن اعتبار هذه المقالة تنمّة لمقالة "الولايات المتحدة الممزقة بين أفلوها وحجمها والانعكاسات دولياً وإقليمياً" في العدد 66 من مجلة "طلقة تنوير". وقد ذهبت تلك المقالة إلى أن الولايات المتحدة باتت أقل نجماً اقتصادياً وتكنولوجياً، وأن القوى الصاعدة دولياً تسير باضطراد باتجاه يجعل عالمنا متعدد الأقطاب، وأن الولايات المتحدة لم يعد اقتصادها يتحمل الحروب الكبيرة وحمولات الغزو والاحتلال المطول، ولكنها ما تزال تتمتع بقدرات عسكرية هائلة بات عليها إما أن توظفها في المحافظة على تفوقها العالمي قسراً، وإما أن تقلص حجمها، والصراع بين هذين التيارين في النخبة الحاكمة الأمريكية يفسر كثيراً من التضارب والاضطراب في السياسة الخارجية الأمريكية ذاتها.

في هذا المقال نشير بالأرقام إلى أن الشركات الأمريكية الكبرى ما تزال تسيطر بشكلٍ شبه مطبق على الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي ووسائل إنتاج الثقافة والوعي، وصولاً إلى هوليوود، بالرغم من وجود اختراق صيني واحد عميق من المرشح أن يتزايد في السنوات المقبلة. لكن الهيمنة الأمريكية على وسائل إنتاج القيم والمفاهيم والتصورات، والثقافة والإعلام بشكل عام، يعني أن الرؤى الأمريكية ما تزال هي المهيمنة عالمياً، وأن ما يشاهده ويسمعه ويتابعه العالم ما يزال أمريكياً بالأعم الأغلب، ولذلك من الطبيعي أن تحاول منظومة الهيمنة الأمريكية أن توظف مثل هذه القوة الناعمة في إدامة سيطرتها وهيمنتها.

بالمقابل، فإن هذه الهيمنة الأمريكية الإعلامية والثقافية تعني أن على شعوب العالم عموماً، والشعب العربي خصوصاً، أن يطور من أدوات مقاومته الثقافية والإعلامية، وأن يسعى لإيجاد بدائل حيث أمكن، لتلك المحكومة بالهيمنة الأمريكية. ولنلاحظ هنا مثلاً أن منظومة الـMBC السعودية تهيمن فعلياً على الشاشات العربية، بفعل قوة البترودولار وحده، مع أن رئيس مجلسها التنفيذي ليس عربياً بالمناسبة، ومع أن حجم نظام آل سعود من الوطن العربي لا يساوي حتى 5 أو 10% سكانياً أو جغرافياً، كذلك فإن الهيمنة الأمريكية العالمية على وسائل الإعلام والثقافة تفعل فعلها، إلى جانب القوة العسكرية والسياسية الأمريكية، في فرض المنظومة الإمبريالية على شعوب الأرض.

باختصار، على الرغم من أن الصين باتت تفرض حضورها العالمي على صعد الاقتصاد والتكنولوجيا والعلاقات الدولية متقدمة الصفوف إلى المراتب الأولى، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تسيطر على وسائل الإعلام والثقافة العالمية التي تنتج المصطلحات والرموز والرؤى المتحيزة لوجهة النظر الغربية عموماً والصهيونية خصوصاً.

ومن بين أكبر عشر شركات إعلامية في العالم، فإن ثمان منها أمريكية، وواحدة ألمانية وواحدة صينية، وهذا يعني أن الأمريكيين لا يزالون يسيطرون، في الأعم الأغلب، على وسائل صناعة "الرأي العام"، حتى داخل الكثير من الدول المستقلة المناهضة للهيمنة الأمريكية، وهذه نقطة تبرز أهمية المقاومة الإعلامية والثقافية لتلك الهيمنة، لا سيما أن الشركة التي تسيطر على محرك "غوغل" وشركة "يوتيوب"، وهي شركة "ألفابت" Alphabet، أتت في المقام الأول عالمياً، وشركة "فيسبوك" في المرتبة السادسة عالمياً، حتى حلت شركة ViacomCBS في شهر كانون الأول/ديسمبر 2019 في المرتبة الخامسة محل شركة "برتلسمان" الألمانية، فباتت "فيسبوك" في المرتبة السابعة.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد



ونلاحظ أن بعض هذه الشركات العالمية تبلغ مبيعاتها السنوية أكثر من الناتج المحلي الإجمالي لعشرات الدول في العالم، فنحن نعيش في عصر الشركات الكبرى الساعية للحلول محل الدول، وهذا هو جوهر الهجوم على الدول والجيوش المركزية والهوية الوطنية والقومية في العالم اليوم، وجوهر التركيز الغربي على "المجتمع المدني" كبديل للدول.

لنلاحظ قائمة أكبر عشر شركات إعلامية في العالم حتى 2019 بحسب عائداتها السنوية، وهي مرتبة أدناه بحسب حجمها من الأول للأخير، ولنتنبه أن المبيعات أو العائدات السنوية تعني عائد الشركة السنوي من مواقع الإنترنت ومحطات التلفزة والصحف والمجلات واستديوهات الأفلام وتسجيل الأغاني وشركات إيصال الخدمة التلفزيونية عبر وصلات (الكابيل) وغيرها، فالأرقام الواردة أدناه ليست قيمة الشركة في السوق

لو تم بيعها، أو قيمة أرباحها السنوية، وهذا قبل الضرائب وحسم أي شيء من هذا القبيل، وقد تم استخدام أرقام عام 2019 (المقدرة) حيث وجدت، وما عدا ذلك تم استخدام أرقام عام 2018، وقد كانت قائمة أكبر عشر شركات إعلامية في العالم كما يلي:

## 1. Alphabet

العائد السنوي: \$136.8 billion (2018)

المقر الرئيسي: California, USA

سنة التأسيس: 2015

عدد الموظفين: 103,549

وهذه هي الشركة التي تملك محرك بحث "غوغل"، وموقع "يوتيوب"، وغيرها كثير، وقد تركز نشاطها التجاري على "غوغل"، وعلى البرامج الحاسوبية المتصلة بها، وهي الشركة التي تتحكم بالتالي بما يظهر، وما لا يظهر، أو ما يظهر في مراتب متدنية، عند إجراء بحث عن موضوع معين، وهو ما يعني بالضرورة الترويج لأسماء ومصطلحات معينة دون غيرها. وقد بلغت عائداتها السنوية عام 2018 حوالي 137 مليار دولار، تحصل عليها من الإعلانات أساساً، وتزداد قيمتها المحتملة كلما ازدادت عمليات البحث عبر "غوغل" واستخدام "يوتيوب".

## 2. Comcast

العائد السنوي: \$94.507 billion (2018)

المقر الرئيسي: ولاية بنسلفانيا الأمريكية

سنة التأسيس: 1963

عدد الموظفين: 184,000

ثانياً، شركة "كومكاست" التي تسيطر على سوق "الكابيل" أو إيصال الخدمة التلفزيونية عبر وصلات في الولايات المتحدة، حيث يعتمد الأمريكيون على وصلات يدفعون مقابلها اشتراكاً شهرياً، وليس على صحتهم لاقطة مثل بقية العالم، وتبلغ مبيعات الشركة سنوياً حوالي 95 مليار دولار.



لائحة القومى العربى

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

### 3. The Walt Disney Company

العائد السنوي: (Revenue: \$69.570 billion (2019)

المقر الرئيسي: Headquarters Location: California, USA

سنة التأسيس: Year Founded: 1923

عدد الموظفين: Number of Employees: 201,000

ثالثاً، شركة "والث ديزني"، وقد بدأت كاستديو أفلام أساساً للأطفال، ثم أصبحت عملاقاً عالمياً ينتج الأفلام والبرامج التلفزيونية ويمتلك حدائق الملاهي، وبلغت مبيعاتها السنوية مؤخراً حوالي 70 مليار دولار ونصف مليار تقريباً، أو هكذا تقدر لعام 2019.

### 4. 21st Century Fox

العائد السنوي: (Revenue: \$30.400 billion (2018)

المقر الرئيسي: Headquarters Location: New York, USA

سنة التأسيس: Year Founded: 2013

عدد الموظفين: Number of Employees: 22,400

رابعاً، استديو أفلام شركة "تونتي فيرست سنتشري فوكس"، وهي جزء من إمبراطورية روبرت ميردوخ الشهير، وهي متخصصة بالأفلام والتلفزيون، فيما شركته الأخرى "نيوز كوربوريشن" التي تقع أيضاً في قائمة أكبر عشر شركات إعلامية في العالم، تخصص في النشر، وهي في نهاية هذه القائمة. ولا بد من الإشارة إلى أن شركة صناعة الأفلام وغيرها "ورنر" Warner Bros كانت ستحل في المرتبة الرابعة هنا محل شركة "تونتي فيرست سنتشري فوكس"، بعائد سنوي مقداره أكثر 33 مليار دولار عام 2018، لولا أن شركة الاتصالات الأمريكية العملاقة AT&T، التي بلغ عائدها السنوي عام 2018 أقل قليلاً من 171 مليار دولار أمريكي، استحوذت عليها.

### 5. Bertelsmann

العائد السنوي: (Revenue: \$19.54 billion (2018)

المقر الرئيسي: Headquarters Location: Gütersloh, Germany

سنة التأسيس: Year Founded: 1835

عدد الموظفين: Number of Employees: 117,220

خامساً، شركة "برتلسمان" الألمانية، وهي متخصصة بالنشر والبيث الإذاعي والتلفزيوني وتسجيل الأغاني وصناعة الأفلام وخدمة الكابيل التلفزيوني إلخ... ونلفت النظر أنها باتت تملك واحدة من أكبر دور النشر بالعالم، وباتت أكبر ناشر بالعالم باللغة الإنكليزية بسيطرتها على شركة Penguin وشركة Random House وشركة Pearson من قبلها، ولديها أكثر من 250 دار نشر في 5 قارات.

### 6. Facebook

العائد السنوي: (Revenue: \$17.650 billion (2019)

المقر الرئيسي: Headquarters Location: California, USA

سنة التأسيس: Year Founded: 2004

عدد الموظفين: Number of Employees: 39,651

"فيسبوك" تحل سادساً بين شركات الإعلام العالمية في عام 2019، "وهل يخفى القمر؟!"، ويقدر عائدها أقل بقليل من 18 مليار دولار عام 2019، والربح الصافي أكثر من 6 مليار دولار، ويعتمد الجزء الأكبر من مبيعات الشركة على الإعلانات، وتزداد قيمة الشركة كلما ازداد عدد الذين يستخدمون "فيسبوك" للتواصل الاجتماعي، وفي الآن عينه تمارس الشركة غير المنتخبة ديكتاتورية شرسة لفرض تحيزها الصهيوني.



العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

## 7. Baidu

العائد السنوي: \$14.54 billion (2018)  
المقر الرئيسي: Shanghai, China  
سنة التأسيس: 2000  
عدد الموظفين: 45,887

سابقاً، شركة "بايدو" التي تأسست عام 2000 هي الاختراق الصيني في شركات الإعلام، ومحرك بحثها "بايدو" ثاني أقوى محرك بحث في العالم، وتعتمد الشركة على الذكاء الصناعي، وهي شركة ما برحت تطور المزيد والمزيد من منتجات الإنترنت بشكل متسارع، وما من شك في أنها موطئ قدم وطيد للصين في العالم الافتراضي، وأنها جزء من الهجوم الصيني العام للتحول محل الولايات المتحدة في مجال برمجيات الفضاء الافتراضي على أنواعها، وقد بلغت عائداتها عام 2018 حوالي 14 مليار دولار ونصف المليار فقط.

## 8. CBS Corporation

العائد السنوي: \$14.514 billion (2018)  
المقر الرئيسي: New York, USA  
سنة التأسيس: 2006  
عدد الموظفين: 12,700

ثامناً، شركة CBS وهي تخصص في البث الإذاعي والتلفزيوني والنشر والإنتاج والتوزيع التلفزيوني وتقديم خدمة الكابيل التلفزيوني وتسجيل الأغاني، وقد اندمجت مع شركة "فياكوم" في المرتبة التاسعة أدناه، ليصبح اسم الشركة الجديد Viacom CBS، ولو جمعنا عائدات الشركتين في عام 2018 فإنها ستكون 27 مليار دولار ونصف المليار، وهو ما يضع الشركة الجديدة في المرتبة الخامسة في هذه القائمة محل شركة "برتلسمان" الألمانية.

## 9. Viacom

العائد السنوي: \$12.94 billion (2018)  
المقر الرئيسي: New York, USA  
سنة التأسيس: 2005  
عدد الموظفين: 11,200

تاسعاً، شركة "فياكوم" وهي شركة تعنى أساساً بإنتاج الأفلام عبر استديو Paramount الذي تملكه في هوليوود، كما أن لديها مصالحي عديدة في قطاع التلفزيون وتملك عدداً من القنوات التلفزيونية المهمة، منها قنوات أغاني، وشبكات إيصال الخدمة التلفزيونية (الكابيل)، وقد بلغت عائدات شركة "فياكوم" في 2018 قرابة 13 مليار دولار، وقد اندمجت هذه الشركة مع شركة CBS في 4/12/2019، أي حديثاً جداً، وكانت الشركتان بالأساس مملوكتين لشركة واحدة بجميع الأحوال.

## 10. News Corp

العائد السنوي: \$10.07 billion (2019)  
المقر الرئيسي: New York, USA  
سنة التأسيس: 1980  
عدد الموظفين: 28,000

عاشراً، القسم الإعلامي في إمبراطورية روبرت ميردوخ، وهو أقرب للمحافظين الجدد، ومن دعاة الحرب، وتقدر عائدات هذه الشركة بأكثر من 10 مليار دولار عام 2019.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

وألفت النظر أخيراً إلى أن وكالة رويترز مثلاً تملكها شركة "تومسون-رويترز" الكندية، وقد بلغت عائداتها السنوية 5 مليار ونصف المليار دولار عام 2018، وهي ليست من قائمة العشرة الأوائل، لكنها تلعب دوراً محورياً في صياغة الخبر والتقرير الإعلامي حول الشؤون العربية وغيرها.

## الصفحة الثقافية: المخرج (العاشق)

### طالب جميل



لم يخرج (عبد اللطيف عبد الحميد) في الفيلم السوري (العاشق) عن أسلوبه المعتاد في الكتابة والإخراج، فاستطاع أن ينجز فيلماً روائياً مهماً يروي فيه جزءاً من سيرته الذاتية وأهم المحطات التي سلكها في سبيل أن يصبح مخرجاً، مع التركيز على الجانب العاطفي لذلك الشاب الذي خرج من قريته البعيدة في اللاذقية ليعمل مخرجاً في العاصمة دمشق.

وسينما المؤلف التي يستند عليها في كثير من أفلامه تمنحه مساحة جيدة للتعبير عن أحاسيسه المرهفة والتمسك بروح الدعابة العالية والسخرية رغم قسوة حياة الريف والفقر، حيث يدور بكاميرته بين أماكنه المفضلة ليصنع مشاهد الطفولة والشباب كمن يسبح عبر الزمن.

الزمن هو أحد أهم أبطال الفيلم كما هو (مراد/ عبد المنعم عمايري)، وهو الطفل وطالب المدرسة

والطالب الجامعي ثم المخرج السينمائي الذي ينجز فيلماً عن حياته وينشغل بعمليات المونتاج له، فتتوزع أحداث الفيلم بعد كل عملية يقوم بها من عمليات المونتاج، ويذهب إلى قريته الساحلية البعيدة وعائلته الصغيرة المكونة من أب (عبد اللطيف عبد الحميد) يعمل في الزراعة، هذا الأب القاسي والشديد المنتمي لحزب العيث حيث يحرص على عقد اجتماعات الرفاق في بيته باستمرار، وأهم ما يتميز به أنه يتمتع بصوت قوي وهادر، وأم بسيطة تساعد زوجها في العمل بأرضه وتتولى مع ابنتها إعداد الطعام والشراب لزوجها ورفاقه أثناء الاجتماعات الحزبية مع كثير من الانزعاج والغضب، أما الأخ فكان يعمل في اللاذقية ويعيش في غرفة بأئسة يقضي أغلب أوقاته مع النساء اللواتي يصطحبنه إلى غرفته.

في فترة الدراسة يتعرض (مراد) لقسوة وتعنيف شديد من مدير المدرسة (فادي صبيح) الذي يحرص على ترديد شعار (أمة عربية واحدة) كل صباح، ويقوم بضرب (مراد) لأنه كان صامتاً ولم يقيم بتريديد الشعار، إلى أن يكتشف المدير أن (والد مراد) صاحب حنجرة قوية وصوت صاخب فيتفق معه على ترديد الشعار من منزله بعد أن تدق ساعة المنبه لينطلق صوت (أبو مراد) وهو يصدح (أمة عربية واحدة) فيردد الطلاب بعده (ذات رسالة خالدة... أهدافنا وحدة، حرية، اشتراكية).

يصبح مدير المدرسة فيما بعد ضابط مخابرات في العاصمة، ويكمل (مراد) دراسته في اللاذقية حيث يسكن مع أخيه في ذات الغرفة، ويحب فتاة قريبة من عمره إلا أنه يتعرض للصدمة عندما يعلم أنه سيتم تزويجها، فيحاول منع هذا الزواج مع صديقه (عمر) لكنه يتعرض لصفعة أخرى وتعنيف من نوع مختلف.

كان دخول (مراد) مع صديقه (عمر) إلى النادي الموسيقي وتعلمه العزف على العود السبب في تحوله إلى الإخراج السينمائي، فيذهب بعدها إلى الشام ليعمل في هذا المجال وهناك يقع في حب جارتها الجامعية (ريما/ ديما قندلفت) والتي تتعلق به كثيراً وتعرض نفسها للضرب من قبل والدها نتيجة تأخرها عن البيت وقضاء وقت طويل معه.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

يسافر (مراد) إلى القرية نتيجة مرض والده، فتقرر (ريما) ترك بيت أهلها والبقاء في شقته حتى يعود، ولدى عودته يكتشف حجم الكارثة التي ستحل بهما فيما لو كشف الأمر، فيضطر للحصول على عقد زواج والهروب إلى القرية ليعيش مع أهله، فيما يواصل الأب المريض ترديد شعار (أمة عربية واحدة) بصوته المتعب.

يحمل هذا الفيلم طريقة وأسلوب ولمسات (عبد اللطيف عبد الحميد) المعتادة والبارزة في كل أفلامه بما في ذلك اللهجة الساحلية المعروفة، كما استطاع وبمهارة ربط الماضي بالحاضر وتوزيع المشاهد بينهما، فتظهر حياة المخرج (مراد) موزعة بين زمنين مختلفين؛ زمن الطفولة والشقاء والفقر وزمن العمل والعشق.

حاول المخرج عبر بعض المشاهد تسويق بعض الأفكار الوجودية والعروبية الجميلة، ففي أحد مشاهد الفيلم -أثناء اجتماع الرفاق- يشير أحدهم إلى أن تحرير فلسطين من أولوياتنا، وأن فلسطين هي قضيتنا الأولى، وفي مشهد آخر يخاطب (أبو نزار) زوجته قائلاً: تخيلي يا أم نزار الأمة العربية من المحيط إلى الخليج دولة واحدة!

يظهر شعار حزب البعث (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) في كثير من المشاهد خاصة في المدرسة مع بعض التلميحات الساخرة، وهو كشعار لا غبار عليه، ويتفق عليه كل العرب بغض النظر عن رأي أي شخص بالحزب أو ممارساته أو بأي ملاحظات تتعلق بعمله السياسي وأسلوبه في إدارة الدولة، بل على العكس من ذلك تماماً فإن ترديد هذا الشعار في المدرسة وزرع فكرة الوحدة والعروبة في وجدان الطلاب سيساهم حتماً في خلق جيل قومي عروبي مؤمن بأمنه العربية وبفكرة الوحدة.

ولأن المخرج مشهود له بالمواقف الوطنية والاخلاص لوطنه وعرويته، فقد يبدو أن السخرية من شعار الحزب كان الهدف منها الإشارة إلى أن مثل هذه الشعارات أصبحت تكرر ها أمراً يثير الضجر، لأنها، وبعد كل الهزائم والمؤامرات التي تعرضت لها الأمة العربية، أصبحت تثير الأسى، والتمزق والانقسام والخراب الذي تعيشه الأمة خير دليل على ذلك، فالشعار شيء وتطبيقه على أرض الواقع شيء آخر.

لا ينتمي هذا الفيلم للأفلام التي ظهرت خلال فترة الحرب، ولم يتطرق أو يتناول أي قضايا لها علاقة بالحرب، باستثناء الهتاف الذي كان في خلفية آخر مشهد بالفيلم عندما صرخ الأب المريض بصوته المتصدع (أمة عربية واحدة) فكان الهتاف (الشعب السوري واحد... الشعب السوري واحد) وهو هتاف مرتبط بالأحداث التي حدثت في سورية، ورسالة تؤكد على أن الحرب لن تنال من وحدة الشعب السوري.

عموماً، وبعيداً عن السياسة، فقد كان العمل مفعماً بالرومانسية والمشاعر المرهفة واللوحات البصرية الغنية فنياً وفكرياً، على الرغم من بعض المشاهد الفائضة عن الحاجة التي لم تؤثر على مسار وأحداث الفيلم بأي شكل، بل كانت لإيصال رسائل معينة بشكل أو بآخر.

كما تميز الفيلم أيضاً بالحضور اللافت والأداء الجميل والمقنع للعاشقين الرئيسيين في العمل (عبد المنعم عمايري، ديماء قندلفت)، وظهرت قدرتهما على الإمساك بتفاصيل الشخصية وتقمصها بحرفية مقنعة، كذلك تميز (عبد اللطيف عبد الحميد) بأداء دور الأب الجاد والقاسي حيناً، والحنون في أحيان أخرى، والرجل الحزبي الحالم والمسييس البسيط.

ولأن الفيلم من إنتاج المؤسسة العامة للسينما في سورية ومن إخراج (عبد اللطيف عبد الحميد)، فقد سبق لقوى "المعارضة السورية" في الخارج أن ضغطت على إدارة مهرجان القاهرة السينمائي في العام 2012 لمنع عرض هذا الفيلم ضمن فعاليات المهرجان على اعتبار أن مخرج الفيلم يعتبر من الموالين للدولة السورية، واستجابت إدارة المهرجان، لذلك لم يتم عرض الفيلم، ولم يؤثر ذلك المنع على أهمية الفيلم وقيمته، وهو جزء من الحصار على سورية على كل حال.



لائحة القومي العربي

العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

قصيدة العدد: رُبَّانُ جَيْشِ والبُطُولَةُ دَأْبُهُ/ في رثاء القائد أحمد قايد صالح رحمه الله

الشاعر التونسي: الحضري المحمودي

السبت 28 ديسمبر/ كانون الأول 2019



تَبْكِي الْجَزَائِرُ ... إِنَّهَا الْأَحْزَانُ  
تَعْنُو إِذَا مَا فَارَقَ الرَّبَّانُ

رُبَّانُ جَيْشِ والبُطُولَةُ دَأْبُهُ  
حَرْبًا وَسَلْمًا مَا جَرَتْ أَرْمَانُ

تَبْكِي الْجَزَائِرُ قَائِدًا مِنْ أَسَدِهَا  
وَعَلَى الْبَوَاسِلِ تَحْزَنُ الْأَوْطَانُ

تَبْكِي الْعُرُوبَةُ (صَالِحًا) لِصَلَاحِهِ  
وَالْمَوْتُ حَقٌّ سَنَّهُ الرَّحْمَنُ

رُجُلًا حَمَى وَطَنَ الشَّهَادَةِ مُخْلِصًا  
وَبِذَاكَ يَشْهَدُ مَنْ حَوَى الْمِيدَانَ

أَوْفَى (الْحَرَكَ) عُهُودَهُ وَأَتَمَّهَا  
وَلِحَرْمِهِ لَمْ يَجْرُؤِ الْجُرْدَانُ

لَا عُرُو أَنْ بَكَتِ الْجَزَائِرُ فَارِسًا  
فِيهَا الرِّجَالُ بِطَبْعِهِمْ فُرْسَانُ

لَا عُرُو فَ (الْأُورَاسُ) ظَلَّتْ قِمَّةً  
وَالشَّعْبُ يَشْمَخُ مِثْلَهَا - يَقْظَانُ

مِنْ حَوْلِهَا بَسَّ النَّرَى بِدِمَائِهِمْ  
وَأَدَى الشَّهَادَةَ يَنْزِفُ الشُّجْعَانُ

يَا رَبِّ أَكْرَمُ (صَالِحًا) فِي جَنَّةٍ  
فِيهَا لِمَنْ قَدْ جَاهَدُوا عُنْوَانُ.



العدد رقم (67) صدر في 1 كانون الثاني عام 2020 للميلاد

رسم العدد  
جمال عبدالناصر بمناسبة الذكرى 102 لميلاده



انتهى العدد